بغ ٢٠١٠

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠
مجموعة قصصية
طاهر البهي
كومبيوتر : حسام عنتر
تنفيذ الغلاف : حسان فاروق
التنسيق الداخلي : رفعت حسن
تدمك : ٧ـ٢٥٩ـ٣٨٠ـ٩٧٧
رقم الإيداع : ٢٦٨٠ / ٢٠١٠
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى : يناير ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م
الناشر

العنوان : ٤٥ عمارات امتداد رمسيس٢ طريق النصر
هاتف وفاكس : ٢٢٦٢٩٤٩٩ـ٢٢٦٢٩٦٠٦(٠٠٢٠٢)
الموقع الإلكتروني
www.dareloloom.com
البريد الإلكتروني
daralaloom@hotmail.con
daralaloom2002@yahoo.com

obeikandl.com

طـــاهر البهـي

بخ ٢٠١٠

مجموعة قصصية

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى جميلة الجميلات

رمز العفة والإخلاص والوفاء

والطهر والنقاء

إلى.. زوجتي

طاهر...

obeikandl.com

obeikandl.com

قبل أن تقرأ

قالوا.. لقد تأخرت في اختراق هذا النوع من الكتابة..

وقال على رأى المثل: بعد ما شاب ودوه الكتاب!

قلت: لقد دخلت الكتاب منذ نعومة أظافري.. ولم أتخرج منه حتى الآن، ولازلت أردد :ألف فتحة آ.. باء فتحة با ..

وأدين بالفضل لعمالقة كبراء، تجرأت وعرضت عليهما بعض محاولاتي المبكرة.. هم تحديدا ثلاثة من أكبر أدباء وطني : الروائي العبقري فتحي غانم والقصاص المتفرد عبد الله الطوخي، والعملاق المتواضع أحمد هاشم الشريف، كما حصلت على تأشيرة القاصة الرقيقة زينب صادق؛ فنصحوني جميعا بأن أرمى جتتي على القارئ.. ورزقي ورزقهم على الله هو نعم المولى ونعم النصير..

واحد يسألني: هو أنت يا كابتن من زمان كده .. يعنى لحقت تقعد مع فتحي غانم وعبد الله الطوخي؟! فأومأت برأسي بأن هذا من نعم ربى على.

ولكن هناك شيء أرجو أن ينتبه إليه قارئي.. هو ألا يزن ما أكتبه على ميزان النقد الأدبي..وقوالبه، فالعبد لله يعترف بأنه على الرغم من مرور ربع قرن على اشتغاله بالكتابة، إلا أنني لا زلت أكتب بروح الهواية.. آه بتعبير آخر اللي على قلبي على لساني، في مزيج من القصة القصيرة، والقصيرة جدا، والأقصوصة الأدبية..و الخاطرة ولا أشغل قلمي بالمحسنات الشكلية!

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

فالمهم عندي أن تصل الرسالة وأن تجد من يستمع بحواديتي !

الشيء الثاني الذي أرجوه وألح عليه، هو أنني أقتبس العبارة الدرامية التي تتصدر تترات كثير من الأفلام السينمائية والتليفزيونية والتي تقول بشكل واضح : كل الأسماء و الأماكن والأزمنة إلى ترد في هذا العمل ليس لها أساس من الواقع.

وعلى كل قارئ أن يتحمل مسئولية ظنه!!

طاهر

obeikandl.com

(بـــخ)

بخ كلمة قبطية قديمة تعني العفريت.

بخ.. كلمة تلخص أشياء كثيرة من حولنا، على الرغم من بساطة نطقها، وندرة حروفها.

مهمة في كثرة استخدامها، حتى وأن لم نستخدمها بحروفها، ولكـــن إذا حسبناها بتعدد المعاني التي يريد البعض تخويفنا بها، فنكتشف إنهـــا أكثـــر الكلمات استخدامًا الآن!

وآخر من قيل لهم "بخ" كحدث يهم الشأن العام، هم (نحن) وكان هـــذا في نقابة الصحفيين. ولكن لحسن الحظ أننا اكتسبنا مناعة ضدها.. وضدهم!

بخ.. لا تعني فقط التخويف، ولكن أيضا المباغتة من حيث لا تدري!

وعندما بادر صديق العمر الجميل الأستاذ عبد الله كمال رئـــيس تحريـــر إصداري بيتي السابق، بفتح ذراعيه أمام احتضان هذه عامود صحفي اكتبه في العريقة صحيفة روزاليوسف اليومية، ونحن نلتقي صدفة – وهي خيـــر من ألف موعد –، كان الموقف بالنسبة لي أشبه بالدراما الإغريقية، وأقرب إلى دموع السينما الهندية ، شيء أشبه بدراما أحمد ومنى (!)، فهي لحظة لم أخطط لها، ولكنها كانت بالنسبة لي ممتلئة بالشجن والمفاجأة العفويـــة، لشخص وجد صديقه بعد غياب دام قرابة سبعة عشر عامًا.

في السياق أعترف بأنني اكتسبت نحو نصف مهاراتي من روزاليوســـف التي قضيت بين جدرانها المزينة بلوحات حسن فؤاد، جمال كامل، رجـــائي ونيس، الفنان الكبير هبة عنايت، حاكم الكبير ومحمد حاكم وعمرو ســـليم،

جورج البهجوري، عبد العال حسن، حجازي، رءوف عياد، محسن جابر، إبراهيم عبد الملاك، محمد الطراوي، جمال هلال، سامي أمين، وشباب الفنانين: وليد طاهر وكريم عبد الملاك نحو ثماني سنوات أنهل من دروسها، وأتعلم من كتابها وفنانيها – وكل واحد منهم مدرسة قائمة بذاتها، وأعترف بأنني افتقدت دروسهم وخبراتهم العميقة .

اشتقت لحواراتي مع الرائع لويس جريس، العظيم أحمد هاشم الشريف، د. مصطفى محمود الذي كان لي شرف لقاءه في صومعته، كما دخلت بيتي إحسان عبد القدوس ومفيد فوزي وأنا محررًا تحت التمرين، المبدع الراحل عبد الله الطوخي الذي نصحني بشيئين الكتابة بالفن وكتابة القصة القصيرة، الذكي صبري موسى، الأم الراحلة نهاد جاد، المتواضع الذي خصني بأطول حوار معه عندما كان مرشحًا لنوبل فتحي غانم.

تخيلوا شاب يبدأ مشواره الصحفي مع هذه الكوكبة اللي تخض بجد من غير بخ، ورغم امتلاء مؤسستي الحالية "دار الهلال بالغة العراقة" بكوكبة أخرى من المبدعين ليس هذا وقت الكلام عنها حتى لا أتهم بنفاق الرؤساء والنقباء، مع مراعاة أن لقاءاتي وحواراتي واستعدادي للتعلم كانت أكبر في الصغر "بعد ما شاب ودوه الكتاب".. من أقوال العظيمة أمي في أثناء محاولة من جانبي لتعليمها الإنجليزية!

كنت أخطط لنوع من الكتابة الساخرة على هذه المساحة، ولكني استغليت شيئين:

أولهما: كرم أخلاق رئيس التحرير الذي لم يسألني: أنت ها تكتب إيه؟

وثانيها: أنني فكرت أن أبدأ بقول "بخ" لقارئ روزا ــ صديق الصبا وأيام العافية ــ قبل أن يقولها هو لي: "ياعم ده جاي يتكلم عن نفسه"!

ونحن نقول لبعضنا البعض (بخ) في كل يوم.. ولكن دون أن ننتبه!

خد عندك مثلاً.. في إشارة المرور عند مسجد رابعة العدوية، وعند التقاء شارع الطيران بالأوتوستراد بحي مدينة نصر، اقترب مني رجل في نهاية عقده الرابع، وربما أكثر قليلاً، جاءني من حيث لا أدرى، وأنا متسلطن مع الرائعة وردة، وهي تغنى للناس الوحشة قائلة: "دول كل يوم قاعدين في بيتنا.. ويطلعوا ويجيبوا في سيرتنا .. دول كل يوم"، وكلما أعادت على سمعي هذا الكوبليه.. أقول إخص!

ولكن فاجأني هذا الرجل، وأنا أغلق زجاج نافذة العربية، خوفا من "أولاد الحلال"، الرجل الأربعيني قال لي "بخ"، ثم فاجأني بقوله إنه يعرفني من التليفزيون، على الرغم من أني مقاطع التليفزيونات كلها مصرية وحكومية وعربية بعد حادث تصادم مع أحد المذيعين – وقد شكرته على ذلك – ثم قال لي بكل فخر: أنا اللص التائب!

ولم أفهم.. ولكني اكتفيت بفتح الزجاج بمعدل اتنين سنتي.

وبسرعة، نبهتني الذاكرة المتواضعة، إلى أن نفس الشخص قد باع لي كتاباً من القطع الصغير بعنوان: مذكرات اللص التائب!

وبدأت بعض المعلومات تتضح أمامي شيئاً فشيئاً، لأتذكر أنه حقق بعض الشهرة بفعل استضافة نجمة التليفزيون الشهيرة جدًا والمعتزلة للبرامج جدًا..جدًا (ن) له في أحد برامجها المحيرة .

وقد مضى الحرامي التائب كل هذه السنوات التي تصل إلى الخمسة عشر عامًا أو أكثر منذ إعلان توبته "الإعلامية" عبر هواء التليفزيون المصري، في بيع مذكراته.. وياريتها مذكرات مثيرة زي كتب اليومين دول، فكل من سرقهم – أيام الخدمة – من غير المشاهير.. ثم أنه لم يكشف لنا عن اقتحامه لغرفة نوم راقصة مشهورة.. لذلك لم (يضرب) كتابه، ولم يفرقع.. مثل كتاب الراقصة (ف) الذي بلغت إثارته طبع أكثر من عشر طبعات – من بتوع زمن الرخص – ولكن الرجل نجح وإحقاقًا للحق في بيع ٣ طبعات عن

طريق قول بخ لكل قائد سيارة تمر من الميدان.. وعايز أشوف راجل ولا ست ما يدفعش أو مايشتريش!

الآن علمنا وظيفة جديدة للتليفزيون.

شيء قريب من هذا الـ(بخ) يحدث على كوبري أكتوبر يوميًا، في عرض مستمر، وحتى في ساعات الصباح الأولى، أو في قيظ الظهيرة.. مشهد تمثيلي رديء لمجموعة من محترفي التسول يمسكون بمقشة، وفي قمة الزحام يمد أحدهم وجهه داخل السيارة، وبدلاً من أن يقول لك بخ – وأنت تكون اتخضيت فعلاً من المباغتة – يقولك وهو يمسك رغيف عيش حاف : كل سنة وأنت طيب.. وأنت مش عارف أصلاً ما هي مناسبة التهنئة.. ولكنه رمز جديد لشحتة زمان: أب إش أشان آكل..أب خليك.

عايز نموذج تاني لـ(بخ)؟

كلنا يقف عاجزًا أما قول بخ من كلب ضال، ولكن يبدو أننا لن نتمكن من قولها في القريب العاجل، بعد أن طالعتنا الصحف بإعلانات مدفوعة الأجر، تحذرنا من التعامل الخشن مع الكلاب الضالة، وتدعونا بالأمر غير المباشر أن نبلغ عن أي كلب – ولامؤاخذة – ضال يعبث بالقمامة، ليأتي المسئولين عن تلك الجمعية ليطعموه، ويدولو "شاور" ثم يوفرون لها متعة التجول والتبول في شوارعنا!

.....

ويبقى الاعتراف بالفضل للوحات المعدنية الجديدة للمرور؛ التي ألهمتني العنوان؛ فقد صادفت لوحة معلقة بمقدمة سيارة كتب عليها "ب خ/ ٢٨٣".

فهمت الحروف... ولم أفهم الأرقام..... كعادتي دائمًا مع المتوحش اللي اسمه "حساب" ماث يعني (أرجوك انتبه الحساب بالعربي هي اللي بين كوتيشن أما الماث ده إنجليزي لغة دارجة)!

شكرا لقائد السيارة "ب خ"!

بط ٢٠١٠

شفت العفريت يا عمو؟!

كنت قد وعدت بناتي وزوجتي بقضاء نزهة نهاية الأسبوع الذي يسبق امتحانات منتصف العام الدراسي كتعويض لعدم تمكننا من قضاء سهرة رأس السنة في أحد الفنادق الكبرى، بسبب عدم وجود فلوس "فكة"، فقد كانت تكلفة السهرة أربعة آلاف جنيها فقط بسبب وجود واسطة لي داخل الأوتيل، حيث أن صديق الدراسة يعمل ك هاوس كيبر – وبالمناسبة فقد تنبأ أحد أساتذتنا في الجامعة بأن كل واحد منا أنا وصديقي سوف يمسك حتة كبيرة أوي في البلد، وبالفعل فان صديقي يمسك وحده نصف دور في الفندق هو مسئول عن نضافته، وقد كان هذا الصديق مرشحًا للانضمام إلى أسرة هيئة التدريس بالجامعة، إلا أن ظروفًا خارجة عن إرادته جعلت زميلة تأخذ مكانه؛ المهم أن الفكة حالت بيني وبين قضاء السهرة مرتديا الطرطور، حيث أنني احتفظ بأموالي فئة الخمسة آلاف جنيه، مع كيس من الجنيهات الصفيح يتوسطهم مغناطيس حتى يتماسكوا ويشد بعضهم بعضًا، حتى أنني أثناء شرائي لعلبة جبنه مثلثات، ألقيت بالكيس كله في وجه البائع قائلا له، خذها يا رجل وبعني إياها!

المهم أنني كان لابد وأن أتصرف بسرعة في موضوع قضاء الإجازة، حتى لا أفقد ثقة العيال.. وكان على أن أفكر في نوع من الإجازة لا تتعدى مصروفاته كيس الدنانير..ورحت أفكر ثم أفكر..هم يعشقون الإسكندرية، وأنا اكتر.. ولكن مش عايزين نبات في فنادقها المور اكسبنسف.. وشواطئها التي تحتاج إلى كيسين دنانير من أجل واحد آيس كريم بمعلقتين، وواحد شاي بارد وحجر شيشة عجمي، تشتهر الإسكندرية بكثافة الدخان الخارج من الفم والأنف من جراء حجر الشيشة السالك(!)، أما أنا فلا أتناول أية مشروبات على البحر في حال كوني الدافع للريسيت، خاصة أنني من

النادر أن أصادف صديق في الثغر لديه القدرة على شيل الليلة.. يعني دفع الحساب!

وها هي الفرصة تلوح لقضاء إجازة نهاية الأسبوع في المدينة التي أعشقها، وأتمنى دائمًا قضاء أيام بها ما سمحت "الميزانية" بذلك، خاصة بعد الارتفاع الجنوني لأسعار الإقامة بفنادقها التي تتيح لك رؤية دائمة لبحرها الساحر، بعد أن عادت له نظافته ونقاء أعماقه.. فقط كان على أن أخيف بناتي من المبيت في الإسكندرية، وجربت أن استخدم الخبث في ذلك!

قلت لأسرتي .. هيا استعدوا سوف نتوجه إلى الإسكندرية عند الصباح الباكر!

ولمحت ارتسام الدهشة على وجوههم من القرار المفاجئ.

وبادرتني زوجتي وقد اشتمت رائحة مهمة عمل في الأمر: ما هي الحكاية؟

قلت: بالفعل هي مهمة عمل.. ولكن سوف نجد الفرصة للمرح واستنشاق يود البحر!

عادت لتسأل عن طبيعة المهمة؟

قلت بنفس درجة سعادتي وتفاؤلي: زيارة إلى عمارة العفاريت!

وكانت الكلمة كافية لأن تبتعد عني زوجتي، وأن يقترب مني الأولاد بشدة، لأنهم اكتشفوا أنني بقولها ومش خايف!

انطلقت ابنتاي : بابا خدنا معاك.

قلت: ولماذا كل هذا الفرح.. هو أنا رايح الملاهي؟

وأضفت متراجعًا حتى لا يعلنوا العصيان: طبعًا .. طبعًا.. سوف نقضي نهاية الأسبوع معًا أمام عمارة رشدي.. عمارة الأشباح ونعود منها لندخل قصر البارون، حيث الإثارة أكبر والرعب أكثر وضوحًا!

الأطفال (مهللين) : هيييييييه.. بابا ها يودينا عند العفاريت!

يا ليلة بيضا.. العيال مش خايفة.. هل فشل المخطط لاجبارهم على العودة في نفس اليوم حتى يحتموا بمنازلهم مع دور شطرنج وكيس بطاطس مقرمشة!

إلى الإسكندرية!

بعد ليلة و ثلاث ساعات كنا نقف أمام العمارة المشئومة..المنزل من الخارج يحرضك على الخوف، حتى لو كنت تتظاهر بغير ذلك.. العمارة تبدو وكأن الحرائق تندلع منها في كل لحظة، أو أنها خارجة توا من انفجار ضخم.. وتشعر بهاتف مستتر يحذرك من الاقتراب!

وعلى بعد أمتار قليلة هناك محطة بنزين و كشك خشبي لبيع التبغ والمياه الغازية.. فكرت أن أبدأ على الفور مهمتي، وأسأل العاملين – أمام أولادي – عن حكاية هذه البناية الغامضة التي تطنطت فيها العفاريت، ولكن نظراتهم لم تكن مشجعة على الإطلاق، ويبدو أنهم اعتادوا على نظرات المتطفلين أمثالي!

بناتي لا يبدو عليهن الخوف، فدفعت الصغيرة دفعًا اسألي هذاأأ الرجل العجوز في عقده السابع يتابعني بنظراته في غير اكتراث، ولكن سنوات عمره توحي بأنه يملك معلومات ذات قيمة.. فوجئت بجرأة ابنتي قائلة للرجل: حضرتك بتشوف العفاريت يا عمو!

الرجل يجلس على مقعد خشبي عتيق، ناظرًا للطفلة بنظرة نارية.. ثم زمجر وتنحنح، وسعل، وأشاح بيده مهرطقًا بكلمات غير مفهومة، فارتعدت البنت صائحة: العفريت.. أنا عايز أروح!

احتضنتها بقوة مهللاً ومطمئنًا: آهو دلوقت أنتي بنتي.. بينا على مصر!

obeikandl.com

تقول إيه عن مصر؟

سألتني مذيعة إحدى الإذاعات سؤالا واحدا، يتكون من كلمة واحدة.. مصر..،، وسكتت؟!

.. سرحت في هذا السؤال الكبير جدًا.. فبدأت بشكر الإذاعة على تذكرها لتلك الكلمة التي نعيشها ولا نتذكرها.. إلا قليلاً، وجال في خاطري أنني اقترحت على التليفزيونية فاطمة فؤاد وقت أن كانت رئيسة القناة الثانية، أن نسمي برنامجنا سويًا.. "مصر التي في خاطري" على أن نستضيف عاشقين متيمين لمصر، ونجوب بالكاميرا لنكتشف مصر من جديد، إلا أنها لفتت انتباهي أن التليفزيون لا يسمح باسم مصر في عناوين برامجها – وعندهم كل الحق حتى لا يتاجر باسمها المتربحون!

المهم أنني فوجئت بأن البرنامج الإذاعي يحمل نفس الاسم، وهي صدفة سعيدة على أي حال..

ولكن ماذا أقول عن مصر.. النيل والآثار.. عن عبقرية الإنسان والمكان.. عن البسطاء.. والأثرياء.. عن الأصلاء والمهمشين.. عن الموهوبين والمبدعين.. عن رجال الدين وأهل الفكر.. عن الفن والتراث.. عن أجمل نساء الدنيا.. عن أمي وأمك.. عن دروس الأبوة. واحترام البنوة.. عن عمق الأصالة وتفرد الحضارة.. عن عشق تراب الوطن.. عن الأغاني الوطنية من عبده الحامولي إلى محمد منير وثروت والحجار وهشام عباس وأنوشكا والعبقري محمد الحلو وطلقات رصاص سيد حجاب "هنا القاهرة"، إلا أنني أفقت على صوت الزميلة الإعلامية تنبهني إلى أن الوقت المخصص لي قد انتهى.. وكنت بالكاد قد انتهيت من شكر الإذاعة والمذيعة، ولم أتمكن من شكر مصر!

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

كل كذبة وأنت طيب!

كل سنة وأنت طيب..

ما المناسبة؟

المناسبة أنه باقي ساعات ونحتفل (بيوم) الكذب!

وإن كنت أحب أن أنوه أنني لست مع أولئك الذين يضيقون على الناس، طالما وأنهم لن يتسببوا في أذى أنفسهم أو غيرهم.

ويوم (واحد أبريل) عيد طريف وغريب، فهو لا يحلو إلا بالكذب، وهناك أناس يتفننون قبل المناسبة بأسابيع للتفكير في كذبة محبوكة، أو مقلب (يوضبه) لأقرب الناس، وقد عشت هذا اليوم والجو بالقرب من أهل الفن، وأشهد أنهم الأفضل في (حبك) المقلب، بحكم قدراتهم ومواهبهم في الإقناع، وارتداء الماسكات التي لا يمكن لأحد أن يكتشفها، إلا أبناء كارهم!

ففي أحد أيام الأول من أبريل، كنت في منزل مطرب مشهور جدًا، ومحبوب جدًا، وقد طلب من العبد لله، أن يساعده في ابتكار مقلب (قبل اليوم ما يضيع عليه)، ولا أنكر أن الفكرة قد استهوتني، بل واستغرقتني، ورحت أفكر وأفكر، وكلما أتيت بفكرة يحبطني بأنه فعلها – هو أو زملاءه – من سنوات!

وفجأة دق جرس الهاتف المنزلي الخاص بالنجم، وإذا بالمتحدث زميل صحفي رياضي يسأل عن الكابتن الجوهري (أي أن النمرة غلط) وإذا بوجه المطرب يهلل من الفرحة، بعد أن أخبر المتكلم بأنه هو الجوهري، وانطلق في تصريحات نارية كفيلة باشعال النيران في زملاء رياضيين وفي أندية كبرى(!)

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

وتوقعت أن تكون النتيجة كارثة خاصة أن المحرر الرياضي لم يكــشف صوت المطرب الذي راح يقلد الكابتن محمود الجوهري.

وتدخلنا في الوقت المناسب لمنع النشر وإيقاف اخطر كذبات أبريل.

كل كذبة وأنتم طيبون.

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

قطة في الربيع

امرأة في الأربعين.. في أقصى درجات حرارتها.. في أعلى سقف لفورانها العاطفي.. إحساسها بالرغبة يحركها.. في كل مكان.. وفي كل زمان.. في كل اتجاه. على طرف سريرها «قطة» تقتنيها.. في عامها الأول، بيضاء.. ناصعة البياض، عينيها زرقاء كريستالية، شفافة.. تقتنيها سيدتها الأربعينية.. على حافة السرير تتلوى القطة.. تتكور.. ثم تتمطع.. ولكنها لا تتثائب، بل تصدر أنينًا داخليًا، مكتومًا.. سرعان ما يتبخر.. وتعود فتتلوى.. تزحف على بطنها، فتحتك أثدائها بملاءة السرير فائقة النعومة، لتعود فتصدر أنينها المكتوم.. ويتحشرج صوتها في مواء أشبه بالعويل.. عويل امرأة تستغيث.. تستجير.. تطلب المساعدة.. تلامس بأقدامها ساقي سيدتها المكشوفتين، التي تنافس بياض شعرها، تنظر بعينيها الجائعتين إلى عيني سيدتها.. تتلاقى الرغبات.. تتوحد النظرات.. تتأوه التنغيمات.

تزحف القطة إلى حيث «حجر» سيدتها، تُعمل حاسة الشم القوية، فيتعالى صوت الاستغاثات.. النداءات.

تحتضن السيدة الأربعينية، قطتها، وتضمها إلى صدرها البارز، الرجراج، وتطبع على أذنيها قبلتين، وكأنها تستعيض بقبلتيها عن الكلمات.. تلك الكلمات التي يمنعها حياؤها البالغ عن نطقها..

هي تعرف وتقدر مواء قطتها المجروح، فقد قرأت عن تلك الأحاسيس والرغبات التي تنتاب، كثير من الطيور والحيوانات في فصل الربيع..

آه من فصل الربيع..

انكسرت نظرة السيدة الأربعينية وهي تستدعى من الذاكرة أيام فاتت وولت، فوقع نظرها على صدرها وقد اختفت رأس القطة البيضاء، ولم يبدو منها سوى فردة أذن حمراء طويلة بعض الشيء، اندست رأس القطة بين النهدين، فشعرت كلتاهما ببعض الدفء والأمان..

تذكرت السيدة، زواجها القصير من الشاب الذي كانت تحبه وتعشقه، وهو زواج لم يدم إلا بضعة شهور، مات في نهايتها العريس الشاب إثر حادث أليم..

أقسمت أن تفي بوعدها إليه بعدم الزواج من بعده، كان يستحلفها أن تتزوج – إذا مات قبلها – بعد «العدة» مباشرة، وهى تندس بين أحضانه، صارخة بأن يصمت، ومع إلحاحه في ذكر ذلك الاحتمال الذي كان ينتابه كلما فرغ من علاقته العاطفية بينهما قبيل ظهور الخط الأبيض من النهار، كانت تقسم له أنها لن تتزوج من غيره، لأنها تعتبره رمزًا للرجولة التي طالما حلمت بها..

الآن تتذكر هذا الإحساس القاتم الذي كانت تستشعره من نبوءته المشئومة، كانت تتحجج بذهابها إلى «الحمام» لتنفرد بنفسها لحظات تنهمر فيها دموعها خوفًا من أن تتحقق تلك النبوءة القاسية لزوجها، الذي لا تعرف ما هو الشيء الذي يحدث لنا، لنرى المستقبل المجهول، ونتأكد من إحساسنا به حتى يتملك منا تمامًا.. هل حقًا ما قاله الفيلسوف الإغريقي «أفلاطون»، من أن الجهل نسيان، والحقيقة ما هي إلا تذكر؟

هل عشنا هذا الزمان من قبل؟

أستغفر الله..

هكذا قالت لنفسها، وقد انحرفت بها ذاكرتها إلى تلك اللحظات الحميمية التي كثيرًا ما جمعت بينها وبين الزوج الراحل، فقد كان الزوج شرهًا معها،

وكأنه يحصل على حقه – وحقها – مقدمًا، تعويضًا عن سنوات الفراق القادمة حتمًا لا محالة.

تذكرت الحنان البالغ الذي كان يحتويها به، قبل وأثناء وبعد العلاقة الزوجية.. فهو لم يستخدم معها العنف أبدًا، بل أنه كان يقدم لنفسه بسيل من القبل والملاطفة وعبارات الحب والإخلاص.

الآن هي تتذكره.. وتحديدًا تتذكر أحضانه، لمساته، مداعباته.. وكانت تربط بين رغبتها، ورغبة تلك القطة التي كانت أكثر جرأة ووضوحًا في التعبير عن رغباتها، حاجتها إلى ذكر يمنحها الدفء والأمومة.

يزيد صراخ القطط في الربيع، وأكثرنا يتجاهل صراخها، نغمض عيوننا حتى لا نراها، نصم آذاننا حتى لا نسمع مواءها، والنتيجة تأتي في غير صالحنا.. فقد تهرب القطة السيامية مع إغواء قط من قطط الشوارع.. فالفوارق تذوب مع الرغبة العارمة.

غرد صوت جرس الباب.. فتحت السيدة الأربعينية، لتجد أمامها رجل في عقده الرابع، حاملاً بين ذراعيه قط شيرازي ضخم، ثم بادرها بقوله: لقد سمعت صوت القطة، وأعرف معناه، فقد عشت طوال عمري بين القطط، لذلك أتيت بقطي الذكر ليقضي هذه الليلة معكم..

قفز القط الشيرازي من بين ذراع سيده، مهرولاً في اتجاه القطة السيامية ناصعة البياض..زرقاء العينين.. منزويا معها في ركن قصي.

وشعر «الرباعي» بارتياح عميق.

obeikandl.com

يوميات أب في الغربة

سألوني: إيه اللي رماك على المُر؟

أنا قلت: اللي أمَّر منه!!

(مثل شعبي حكيم)

جاءت هذه العبارة على لسان أحد المصريين العاملين بالخارج، وهو يصف شعوره عن الغربة في تقرير تليفزيوني من أحد الموانئ، وهو في طريق العودة إلى الغربة بعد إجازة قصيرة، لم يستطع خلالها أن يروى ظمأه ولا ظمأ أسرته المكونة من زوجة وثلاث أبناء.

الآن وأنا أستعيد ذكريات سنوات من الغربة، أؤمن بأنني ما فعلتها عن كامل إرادتي.. بل إنني كنت مدفوعًا بفعل عوامل عديدة، عوامل طاردة، من الأسرة والمجتمع..

لم أكن أتصور أن أترك أسرتي وأهلي وأصدقائي وزملائي، وأذهب إلى حيث لا أعلم.. إلى مجهول.. لم أكن أتصور أن أترك الدفء الأسري والعائلي، وأذهب إلى برودة المشاعر، ووجد المصالح، وتحويل كل شيء إلى دنانير ودراهم..

ولكنني فعلتها.. بعد أن ضاق الخناق، وأصبح لا مفر من الهروب والاحتماء بقوة الدرهم والدولار..

كنت أرى علامات الحرمان ترتسم على وجه أطفالي الثلاثة، وهم يتطلعون إلى إعلانات التليفزيون بدءًا من العصائر الغالية والشيكولاتة وارد أوروبا، وحتى السيارات الحديثة المجهزة التي تزغلل الأنظار، ومرورًا

بأجهزة التليفزيون المحمول من أحدث ما أخرجته المصانع الأوروبية.. كان أطفالي يشاهدون كل إعلان من هذه الإعلانات وهم يسألون: لماذا لا نشتري هذا؟

وأحيانًا يتغير السؤال إلى: متى نشتري هذا..

هذا بخلاف أن الأبناء كانوا دائمي المقارنة مع زملائهم.. و"يا بابا ريم صاحبتي عندها كذا... أو أنا شفت مع "جهاد" صاحبتي كذا.. أو أن "تالية" أخت صاحبتي خالها أحضر لها كذا وكذا من دبي ولم يكن أطفالي يعرفون، أن كل طلب لهم ليس بمقدوري تحقيقه، بسبب إحباطًا شديدًا لي، وإحساس بالغضب في آن واحد.

أما "أم العيال"، فكانت بحكم سنها، كانت تطلعاتها أكبر من رغبات أبنائي، ف هي كانت معترضة على كل شيء تقريبًا في حياتنا.. الشقة والحي الذي تسكن فيه، والعفش، وموديل السيارة وماركتها أيضًا، بل ولون السيارة التي اختارتها بنفسها. ولذلك كانت تنظر إلى حياتنا بمعيار "انسف حمامك القديم".. أما هي فقد كانت ترغب في نسف كل شيء من أجل أن تتحقق لها حياة جديدة.. جديدة.

ولا أنكر أنني كنت واحدًا – من الأسرة – ممن لهم أمنيات ورغبات يودون تحقيقها. كنت في المقام الأول أحلم بأجر عادل يساوي نوعية ما أقوم به من عمل، فأنا لا أقوم بعمل عضلي حتى أحصل على أجري بنظام "اليومية"، أو "الفاتورة الشهرية"، بل إنني كنت أرى نفسي أقوم بعمل إبداعي لا يقل عما يقوم به صديقي أبو تريكة أو حتى الحضري، ويكافئهم الله على مواهبهم بمزيد من العطاء والهبات والمنح، وأنا أرى أن هذا هو حق كل مبدع موهوب، فمادامت الموهبة من عند الله سبحانه، ف هي بالتالي شيء ثمين يستحق أن نكافئ صاحبها بما نستطيع من كنوز الدنيا، مادامت هذه الموهبة تسعد أو تخدم الإنسانية، كما أنني كنت أرى أصدقاء

لي من نفس مهنتي يعملون خارج الحدود، ويحصلون على الكثير، وأنا لا أحسدهم على ما يأخذون، ولكني كنت أحلم بأن يُكّرم كل في وطنه ".. أما طلباتي المادية، فقد كانت بسيطة للغاية، كنت أسعى لأن يتماشى مظهري مع مركزي الاجتماعي، فالناس كانت مبهورة بي وبوظيفتي الرفيعة، لكنني كنت أرى عيونهم تُقّلب في يمينًا ويسارًا، وكأنهم يريدون أن يقولوا لي في شفقة: أنت بقى فلان الموظف الكبير في الوزارة المهمة؟

كنت أريد أن تكون لدى القدرة على تلبية طلبات أبنائي، حتى لا أشعر بالعجز والمذلة أمامهم، كنت أريد أن أدخر قليلاً من المال لشيبتي، ولعجزي، وليوم زواج الأبناء بدلاً من أن يكون مصيري، كمصير عماد حمدي في فيلم أم العروسة: يعنى الاختلاس من أجل زواج الأبناء لا قدر الله.. كنت أحلم بأن أصطحب أسرتي إلى مطعم راقي، أو حتى "كافيه" لنمضي بعض الوقت في "الويك إند".. وأن نذهب في الأجازات الأكثر طولاً إلى إحدى المدن الساحلية.. نلعب ونمرح ونخرج من كآبة حياة الجدران الأربعة.

كنت أرى أن كل هذه الأحلام بلا استثناء، هي أحلام مشروعة، أحلام يمكن – بل ينبغي – تحقيقها، حتى يكون للحياة معنى.. وإلا لماذا نعمل ولماذا نتزوج وننجب.. ولماذا نتحمل مشاق ومخاطر العمل؟

كل ما سبق كان مقدمة وسببًا قويًا، بل وقهريًا لأن أفكر في السفر، والحقيقة أن زوجتي كان لها الفضل الكبير في تشجيعي على الخروج من الوطن كان منطق زوجتي أنك لو أتيت بعمر إضافي إلى عمرك، ولو حدث – مجرد افتراض – أن تضاعف راتبك مرتين، فإنك لن تعيشنا في المستوى اللائق "اللي يشرفنا ويشرف ولادنا"..

قلت لها: يا سيدتي أنني صغير السن والمستقبل أمامي كبير!

قالت زوجتي وليتها ما قالت: موت يا حمار!!

وللحق فإن هاتين الكلمتين "موت" وحرف النداء "يا" ثم كلمة التسخين "حمار"، جعلتا الدم يغلي في عروقي إلى حد أنه تطاير إلى نافوخي وقلت: ها أسافر يعني ها أسافر!

في أقل من أسبوع كان عندي جواز سفر، وفي السياق فإن لي ملاحظة لا أعرف مدى أهميتها، هي أنه من أسهل الأشياء في بلدي أن تستخرج جواز سفر، سوف تشعر وأنت تجتاز الإجراءات الواحدة بعد الأخرى، أن الجميع يرحب بك!

لم أكن بحاجة إلى الذهاب إلى مكاتب التسفير، فقد كان عملي وخبرتي مفتاح تفتح به الأبواب المغلقة.. أيام وكنت أستقل الطائرة المتجهة إلى دولة شقيقة، كانت أولى ملاحظاتي أن الناس في الطائرة مبسوطين ومقبلين على الحياة إلا أنا.. فقد كنت "مخضوضًا" ليس من الطائرة، ولكن من الدنيا الجديدة التي أنا في طريقي إليها أول شيء خطر على بالي، أنني لم أحتضن أطفالي بطريقة تشبعني، وتمنيت لو استطعت أن أتكلم إليهم من الطائرة لأنهم "وحشوني موت"!

استقبلني الأشقاء ممثلين في سائق هندي، بلوحة مكتوب عليها اسمي، واصطحبني إلى مقر السكن، أول شيء بحثت عنه هو التليفون، وطلبت زوجتي وأولادي ورحت أبكي على الهاتف ثم أغلقت الخط.. لم يكن لدى كلام محدد أود قوله، بل كان البكاء هو طلبي الأول والأخير، ولولا صعوبة الإجراءات – إجراءات العودة – لأخذت نفس الطائرة وعدت بها إلى أولادي.

أول يوم لي في العمل، كان الأشقاء (ممثلون في موظف باكستاني) كرماء معي، حيث سمحوا لي باستخدام التليفون الدولي.. تجرأت أكثر وقلت

كلمتين لكل طفل من الأبناء وثلاثة كلمات لزوجتي وبدأت الجهاد.. إنه أول يوم لي في العمل، وقد أخرجت جهاز آلة حاسبة "كالكوليتر" من جيب الجاكيت وحسبت كم لي عند الأشقاء مقابل أول يوم عمل.. ثم أصبح اليوم يومين، والشهر شهران ثم ثلاثة.. قلت إلى هنا أحتاج إلى إجازة، خيروني بين أن أحصل على إجازة الآن أو أحصل عليها في أثناء أجازات الصيف، الزملاء الخبراء أجمعوا على أن الصيف أفضل.. حيث يكون الأبناء في أجازات من المدارس. والمصايف مفتوحة على مصراعيها.. وبالتالي نستطيع أن نستمتع بإجازة عائلية وأن تنفق بعض الدولارات أمام الأهل والجيران!

كنت أداوم خلال هذه الفترة على تحويل النقود الكافية لزوجتي، التي بدت سعيدة بجريان الماء في النهر، والدماء في العروق، وكانت تحثني على المزيد.. جاء موعد الإجازة، وانتهت مع بعض الاستمتاع، وبدأ الأولاد يكتبون قائمة بطلباتهم الجديدة، وساعتها أدركت أنني أصبحت مجرد "كيس نقود"، ولكن كان على أن أكمل المشوار، وأصابعي على الآلة الحاسبة تعد كم أصبح لدى من أموال في البنوك.. ولم أعد أهتم بالأولاد الذين لا يفكرون في إجراء مكالمة هاتفية لي في الغربة، إلا إذا رأوا منتجًا جديدًا أرادو أن أرسل لهم به، أما زوجتي الحبيبة فلها الله، ف هي تحملت كثير من المشاق لكي تكون الأم والأب لأولاد رجل غائب اغتالته الغربة.

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

شقة الأحلام

أحمد ومنى.. مخطوبين لبعض من كام سنة..

كل الأهل والأصدقاء والجيران، يعرفون أنهم في حكم الأزواج..

شيء واحد فقط، يقف كحجر عثرة في طريق اكتمال الحلم..

شقة الزوجية، جعلت من زواجهما حلمًا مؤجلاً، أو بمعنى أدق "جواز مع وقف التنفيذ".. أين هي الشقة؟ وبكام؟ مكانها ومواصفاتها؟

أحمد ومنى.. ليس لهما طلبات تعجيزية.. كل ما يطلبانه هو عش هادئ قريب من أطراف المدينة، حتى يستطيعا الذهاب إلى أعمالهما من دون "بهدلة" السرفيس، وتغيير أكثر من مواصلة لأتوبيسات النقل العام.

أحمد.. لم يكن من النوع المتخاذل' أو الاعتمادي، لهذا فهو لم يدخر جهدًا، ولم يترك وسيلة تقربه من الوصول إلى حلم امتلاك شقة (غرفتين ورسيبشن وحمام واحد، ومطبخ ٢×٣) بهذه الشروط البسيطة، كان أحمد يتحرك في كل اتجاه، مقابلات مع السماسرة، وبوابي العقارات، وأيضًا عن طريق نشر إعلانات في الصحف المتخصصة، وقراءة كل إعلانات "للبيع أو للإيجار"، مما أضعف كثيرًا من نظر أحمد، وجعله يستعمل نظارة طبية للقراءة، وهو الذي لا يزال في أواخر عقده الثاني.

كان يتلقى مكالمة على الموبايل – كل نص ساعة تقريبًا – من أصدقائه السماسرة والبوابين، ومكاتب العقارات، على الرغم من تأكيده في كل إعلان ينشره، على أن "الوسطاء يمتنعون"، إلا أن كثير من هذه الشركات كانت حريصة على أن تؤدي عملها سواء رضي "الزبون" أم لم يرضى!

obeikandl.com

أحمد كان لديه شقة ورثها عن والديه، في منطقة نص شعبية، صحيح أنها "صغيرة شوية"، إلا أنها كان من الممكن أن تغنيهما عن ذل الإعلانات، ولكن منى رفضت بشدة أن تتزوج في شقة "خرج بيت".

وكانت الفكرة التي لاحت لهما، أن ينشرا إعلانًا في جريدة يطلبان فيه مشتري، وقرش على قرش يساعد، ويقرّب ثمن الشقق الجديدة ملتهبة الأسعار.

كل يوم كان العروسان إما في زيارة لمعاينة شقة جديدة، أو في انتظار زيارة من مشتري لمعاينة شقته القديمة.

وعندما ضج أحمد من هذه الزيارات التي لا تجدي، وأعلن ذلك لأحد أنشط السماسرة الذي كان يرسل له في اليوم الواحد مشترين أو أكثر، قال له السمسار، وهو رجل خفيف الظل:

- يا أحمد بيه.. أنت ولا مؤاخذة عندك إخوات، قرايب..
- أحمد : طبعًا !
- السمسار: طيب ولا مؤاخذة برضه – بيزوروك؟
- ولم ينتظر السمسار ردًا من أحمد، بل سارع بتقديم الإجابة: طبعًا لأ!
- وأردف: اعتبر الناس دول قرايبك.. أصحابك.. دول بينفعوا لما تكون حاسس بالوحدة والفراغ، وأهم يعملولك "حس" قدام الجيران، يا سلام حد يكره أن الناس تكون داخلة، خارجة عنده..

ده أنا أعرف ناس بتدور على حد تتكلم معاه، تعرف منه أخبار الدنيا، وتفضفض معاهم بدون ما "تجرح" أسرارك!

فيقوموا يعملوا إيه.. التوجه إلى مكتب وكيل إعلانات، وبكام "ملطوش" تنشر إعلان عن بيع أي حاجة: شقة، كلب، ساعة قديمة.. أو أي شيء وفي نهاية الإعلان ضع رقم موبايل، وأنصحك تشتري قبلها خط جديد

"كارت" يبدأ من ستة جنيهات فقط – وتستعمل نمرته، حتى تتخلص منها بعد "زهقك" من الزيارات.. يعنى كده ملل وكده ملـــل.. يبقـــى دلـــع نفـــسك ولا مؤاخذة!

استجاب أحمد، وردخ للنصيحة، وقرر أن يرد على المكالمـــات الـــواردة عبر الموبايل صوت سيدة، أيوة يا أخويا ممكن أتفرج على الشقة اللي أنت عاملها إعلان؟

- ممكن.. .. ..
- أنت عايش فيها لوحدك يا ابني ولاَّ مع أسرة؟
- لوحدي يا أمي؟
- كبدي عليك يا نور عيني..

بسرعة أنهى المكالمة، بعـــد أن أعطاهـــا العنـــوان، وذهـــب مـــسرعًا لاستقبالها..

السيدة تطرق الباب.. أحمد يستقبلها بترحاب..

صوت السيدة يتعالى: ادخل يا محمد.. امسك أيد أخوك يا وله.. اســـتني لما أخواتك الصبيان يدخلوا يا بنت الكلب..

أحمد فوجئ بأن البيت اتملا عيال.. حاول يغلق البـــاب، إلا أن الـــسيدة طلبت منه أن ينتظر، لأن "الحاج جاي"..

أسرع الحاج بالدخول بخطوات متثاقلة..

الحاجة: والنبي كوباية ميه ساقعة واسبرينه لأبوك الحاج، ولـــو فيهـــا رزالة حاجة ساقعة للعيال، أو جيلاتي عصايا.. علـــشان نلهـــيهم ويـــسبونا نتكلم.. خد أختك وخشوا العبوا في الأوضه اللي جوه يا ميدو..

أحمد.. ادعى أنه يتكلم في الموبايل قائلاً بفرحة مصطنعة:

مبروك.. مبروك عليك الشقة..

ثم توجه إلى السيدة والحاج والأولاد: الشقة اتباعت خلاص..

- الحاجة: طيب مبروك. لكن أنت بتدخن يا ابنى؟!
- أحمد: ليه السؤال؟
- الحاج: لو ممكن سيجارة يعنى، وياريت تدينا عنوانك الجديد، علشان إحنا خلاص بقينا أهل، ولو عندك عصير فريش "صب" للعيال.
- الحاجة وقد ابتعد صوتها عن المكان: تعالى هنا في البلكونة، الهوا بحرى يرد الروح..

بعد أن تخلص أحمد من هؤلاء الزائرين المزعجين، أخذ يتصفح في الجريدة الإعلانية: "فرصة لن تتكرر، لدواعي السفر، لهواة التميز، الوسطاء يمتنعون، اليوم وغدًا فقط، الجادين حصة من الأرض، فيو رائع، بانوراما على خرابة، تطل على مكوجي مشهور، ترى الجيران بوضوح"..

ذهب أحمد مسرعًا إلى العنوان.. للأسف اكتشف أنه عنوان لوسيط عقارات (سمسار على الرصيف).. قاله للأسف الشقة بتاعة الإعلان راحت لصاحب النصيب، ولكن.. (قعد يلعب في ودانه ثم قال) اسمع يا بيه، أنا قلبي اتفتحلك، عندي حاجة حنينة تقل ميت ألف.. مش بعيدة من هنا.. في الوراق.. عمارتي أنا، بدل مشاكل الزمالك وجاردن سيتي، صدقني الحكومة أصلها باصة للناس اللي بتسكن في العمار، إيش ضرائب عقارية، وفواتير كهربا ومياه بالشيء الفلاني.. تعالى عندي، وأنا وعيالي خدامينك..

(سمسار٢): شقتك موجودة والمعاينة على الطبيعة، وفى أرض الموقع: شايف العصفورة اللي طايرة هناك دي، أهي شقتك مكانها بالضبط لما تطلع العمارة، بحرية وشرحه، ومش مجروحة.

بط ٢٠١٠

(سمسار٣) علشان خاطرك، أنا هاديهالك بتسهيلات.. ادفع كل شهر خمسة وخمسين ألف على ٣ شهور.. أنت ما قولتليش.. هو مرتبك كام؟!

(سمسار ٤) الشقة اللي عاملين ليها الإعلان، اتباعت من نص ساعة، يا سلام لو كنت قربت – بس في حاجات تانية، والزيارة هاتكلفك خمسين جنيه.

أحمد ومنى قرار الجواز من منازلهم، يعنى من بعيد لبعيد، طول النهار مع بعض.. فسح وخروج ومسخرة.. ثم.... يذهبان كل إلى بيته، عندما يشتد بهما النعاس.

" طبق الأصل "

obeikandl.com

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

الطير المهاجر

محسن.. شاب في الثلاثين من عمره، عكس عدد كبير من الشباب في مثل سنه، استطاع أن يفلت من (غول) البطالة، وأن يلتحق للعمل بمهنة محترمة.. محترمة اجتماعيًا، ولكنها لا تُدَّر عليه دخلاً محترمًا.. ولكنه قانع جدًا، وراض بما قسمه له الخالق الرزاق..

محسن.. يقيم مع والدته التي تخطت سن الستين من عمرها، يعيش معها وحيدًا، وتعيش هي معه وحيدة!

ينتابه بعض الأرق ليلاً، فيصحو من نومه على صوت أمه وهي تغرد كالكروان في صلاتها عند السحر.. تدعو له دعاء يكاد لا يتغير: "اللهم حبب فيك الناس يا "محسن" يا ابن بطني.. اللهم ارزقه بالحلال من وسَعْ، اللهم وسَّع عليه.. اللهم ارزقه بالزوجة الصالحة..".

إلى هنا تبكي الأم، بل تنتحب، والسبب أنها تعرف تمامًا أن الزوجات الصالحات تملأن الحي البسيط الذي يعيشان فيه..

كما أن محسن طالما حكى لوالدته عن (ليلى) زميلته في العمل التي تصلي وتصوم الفرائض والنوافل، ويرتاح إلى كلامه معها، بل إنها كثيرًا ما ألمحت له، بأنها ترحب بزيارة تعارف يقوم بها إلى أسرتها، وهي أسرة لا تتفوق كثيرًا – كما فهم منها – عن المستوى الاجتماعي لـ. محسن.

رغم ذلك فإنه كان يقابل تلميحاتها باصطناع الغباء، أما عن أمه فهي تقابل كل ذلك بالدعاء:

(يا رب تكون من نصيبك.. إذا كان فيها خير لك)

ولكن محسن كان يلمح شرود أمه وهي تتلو هذا الدعاء، فأمه تعلم أنه من الصعب تحقيق هذا الحلم، إن لم يكن مستحيلاً، أمه تعلم إنها إذا ذهبت إلى أهل العروس، فلابد أن الحوار – بعد التعارف – سوف يتطرق إلى التزامات العريس:

(هيه يا حاجة أنتوا هاتجيبوا إيه.. وإحنا علينا إيه؟)

في حين تعلم الأم أن كل مدخرات الابن في الحياة لا تزيد عن مبلغ الستة آلاف جنيه، تخفيهم الأم بطيبتها الشديدة داخل سرداب لا أحد يعلمه سواها.. حتى الابن لا يعلم أين تخفيهم.. بعيدًا عن اللصوص والحساد، وأيضًا عن وسوسة الشيطان حتى لا يصرف جزء من المبلغ الذي تعتبره كبيرًا، فقد فكر يومًا أن يشتري لنفسه (موبايل بكاميرا) حتى يصور بواسطته زميلته (ليلى) لتراها الأم، ليس بهدف إقناعها بالعروسة، ف هي مقتنعة دون أن تراها فيكفي أن قلب محسن يخفق لها، ولكن بهدف أن يجد مادة للكلام بينهما وهو مستلقي على ظهره بين يديها، ولكن الأم وقفت بالمرصاد لهذا التبذير الأحمق، رافضة العبث بمدخرات العمر!!

ومرة أخرى أراد أن يشتري لها جلبابًا كمان إيشارب، إلا أنها رفضت أيضًا ومحسن يعلم تمامًا أن هذه الآلاف الستة – كل ما يملك – مبلغ لا يكفي لأكثر من شراء بدلة الفرح ودبلتي الزواج وأجر المصور الفوتوغرافي – ولا مكان لرفاهية الفيديو – وأجر الكوافير الذي سيجتهد في إخفاء الصلعة التي بدأت معالمها تتشكل بفعل القلق والتوتر، والمداومة على "فرك" الشعر ليساعده على التفكير العميق، وبالتالي يصبح المبلغ (المدخرات) غير كافي على الإطلاق لشراء غرفة نوم، أو دفع مقدم شقة إيجار جديد، فضلاً عن أن الراتب الشهري لا يمكن أن يفي بإيجار الشقة وحدها، دون المصاريف المعهودة نظير فتح بيت جديد.. هذه الأمور طالما ناقشها محسن مع زميلته ليلى التي يدق قلبه لها، ولكنه كان يدعى أنه يستشيرها في أمر

صديق له، حتى لا يسبب لها إحراجًا في حرية الرد والمناقشة، ومنها علم بأن والديها يصران على أن يزوجنها من رجل ميسور الحال (حتى يريح قلبها) خاصة أن ليلى على درجة كبيرة من الحسن والجمال ولهذا تحطم مشروعه الأول في الزواج على عتبات قلة الحيلة وقصر ذات اليد!

أمه كانت تعلم كل ذلك، ولهذا فإنها لم تكن تسترسل في مواصفات العروس المنتظرة، كانت تدعو له وهي تعلم إنها تدعو بأن تتحقق معجزة على الأرض، وهذا لا يمنع إيمانها بقدرة الله عز وجل الذي يقول للشيء "كن فيكون".

ولذلك كان محسن يستمع إلى دعاء أمه بأن يهبه الله الزوجة الصالحة، فيخدره دعائها ويتمتم بالتأمين على الدعاء: اللهم آمين.

صارح ليلى بأنه لم يعد يحتمل الوحدة – كما أن والدته المسنة لم تعد قادرة على خدمته، بل هي بحاجة إلى من يخدمها، فشجعته بدموعها على أن يبحث لنفسه عن عروس غنية، من أولئك الذين أصابهم قطار العنوسة.

راقت له الفكرة، وتصور أن أهل هذه العروس العانس، سيأخذونه بالأحضان، خاصة أن الجمال يخاصمها، إلا أن أهلها عندما علموا بظروفه ودرجته الوظيفية، كادوا أن يطيحوا به من البلكونة!

وفي اتجاه آخر بدأت ليلى تبحث لنفسها عن وظيفة في مكان آخر يحقق طموحها المادي، ونشأت بينها وبين رئيسها في العمل علاقة إعجاب، مما أفقد محسن الأمل، في الارتباط بها.

وحاول مرة أخرى طلب يد سيدة مطلقة تكبره بنحو ثماني سنوات، إلا أن طليقها علم بالخبر، وكان يغار عليها حتى بعد طلاقهما، فذهب إليه في مكان عمله، وهدده بتشويه وجهه بماء النار الذي يباع في محلات القاهرة بدون ضابط ولا رابط.

كل هذا جعل أمه تنظر إلى ابنها نظرة الأم لابنتها العانس، فأصبحت أكثر عطفًا وحنوًا عليه، وأصبحت تبالغ في خدمته ورعايته.. ثم تدعو له بكثافة وإيمان حقيقي بقدرة الله على تحقيق المعجزات.

وتفتق ذهنه عن حل: نشر إعلانًا في جريدة متخصصة، عنوانه: مطلوب أرملة فورًا، وتفاصيله، شاب في الثلاثين في كامل صحته وعافيته، يعمل في وظيفة محترمة، طويل القامة، أسمر اللون، وسيم الملامح، يطلب عروس أرملة، تقبل أن يعيش معها هو والدته في منزلها، وأن تساعده في نفقات الحياة... ملحوظة: لا يشترط السن.. تليفون محمول...." وفي يوم نشر الإعلان فوجئ بأن هاتفه الخلوي لا يكف عن الرنين، والمثير أن بعضها جاءه من الأقاليم، عروض مغرية، وثروات كبيرة، ولكن الأعمار تتراوح ما بين ٦٥ و٨٠ عامًا..

ولكنه توقف أمام مكالمة من صوت نسائي أجنبي: هاللو مستر محسن.. تقدر تيجي في الغردقة هنا عند أنا.. أريد أناقش معك موضوع زواجنا..

وبعد تفكير قليل وجد نفسه مشدودًا إلى هذا الصوت الرقيق، ولكن ماذا سيفعل مع والدته؟

وهل انتهت عند هذا الحد علاقته بـ (ليلى)؟

وماذا يحدث له في الغردقة وسط كم كبير من السائحات الأجنبيات المطلقات والأرامل؟

وهل سيقنع بنصيبه مع صاحبة الصوت الجذاب؟

وهل سيدخل في منافسة مع شباب آخر صياد يرمى الطعم للسائحات المنتميات بالشباب المصري ذات الدماء الساخنة؟

وماذا فعل زميله الشاب المغامر الذي قرر أن يخوض رحلة الموت ويلقي بنفسه بين الأمواج الثائرة بحثًا عن حلم الثراء والإقامة في الجنة المزعومة؟

أحداث أكثر من مثيرة.. أرى أن تكتبها أنت بنفسك عزيزي القارئ!

obeikandl.com

obeikandl.com

يوميات عريس فرحه الليلة

.. وهاتجوز

اقترب اليوم الموعود – يوم زفافي – على عروسنا المصون.. كان لابد لأن أحصل على إجازة من عملي، حتى أتفرغ لمتطلبات حفل الزفاف، أسبوع كامل وأنا "دايخ السبع دوخات"، بين معرض الأثاث الذي لم يلتزم بموعد التسليم، وسيدي المأذون، وجواهرجي الدبل، حيث أننا فضلنا أن يكون تقديم الشبكة مع كتب الكتاب في ليلة واحدة توفيرًا لبعض النفقات، والنقاش الذي لم ينته بعد من تشطيب حجرة النوم، بعد أن وعدني أنه سيجعل من الشقة "عروسة" تنافس عروستي في جمالها.

وتلك كانت يومياتي خلال الأسبوع الذي سبق ليلة الزفاف.

الجمعة:

أشارت علىَّ خطيبتي – زوجة المستقبل القريب، أن أستأذن والدها في أن نخرج معًا، بحجة شراء بعض لوازم الفرح، الحقيقة أنني لم أكن ميالاً لهذا الطلب، حيث أننا كلها أسبوع وهانبقى في بيت واحد، ونبقى نقعد على راحتنا وفى بيتنا لا هندفع أبيض ولا أسود، ولا بنت تيجي شايلة عودين نعناع دبلانين، وتقتحم علينا قعدتنا قائلة: ربنا يخليلك المدام – طب إشعارفك أنها المدام؟! وأيضًا بعيدًا عن المتسولين والمتسولات الظانين أن الجيب عمران.

ثم إن خروجنا معًا، سوف يعطلني عن متابعة سير العمل في شقة الزوجية، أصارحكم بأنني حاولت التلميح لعروسي بما يدور في خاطري، فإذا بها تنفجر في التليفون – وكانت الساعة تقترب من الرابعة فجرًا – قائلة: شفت أنت زهقان مني إزاي قبل حتى ما يجمعنا بيت واحد!

وأضافت : أنا من رأيي نفضها سيرة وكل واحد يروح لحاله!

قلت: يا خبر أبيض.. كل واحد يروح لحاله.. إزاي.. ده أنا دافع "عرابين – جمع عربون – لغاية دلوقتي أكثر من أربعين ألف جنيه، غير الشقة اللي أخدتها في عمارة أختي!

ولمعت في رأسي فكرة! ونفذتها فورًا قائلاً لعروسي: برافو عليكي، أنا كنت باختبرك، أشوفك هاتتمسكي بالخروج معايا ولا زهقتي، خصوصًا أننا طوال عامين عرفتك فيهم باخرجك مرتين في الأسبوع، وماهمنيش إن أنا بادفع في كل مرة أربعين جنيه "للكافيه" على النسكافيه والعصاير الفريش اللي أنتي بتحبيها.

ولأن عروسي هي الأذكى: فقد صاحت: يعنى بتحبنى؟!

قلت لها فورًا وقد أشارت الساعة إلى الخامسة: باموت فيكي.

قطع

السبت صباحًا:

ذهبت أستلم دبلتي الفرح من عند الجواهرجي، وما أن رآني إلا وبالغ في الترحيب بي، وسألني أن كانت هناك مشكلة ما تسببت في هذه الزيارة، فقلت ربنا ما يجيبش مشاكل، أنا جاي أستلم الدبل.

فاندهش الرجل، وقال هي الهانم ما بلغتكش؟

أنا – خير !

هو: هي جاءتني مع والدتها الهانم الكبيـرة واسـتلمت الـدبل وزودت عليهم خاتم ألماظ، وقالت البيه هاييجي بكرة يدفع.

أنا: أولاً لما والدتها تبقى الهانم الكبيرة، أمال والدتي أنا تبقى إيه..

ثانيًا أنا "البيه" وباقول لحضرتك مش هأدفع!

السبت عصرًا:

استدعيت رقم موبايل عروستي، ثم ضغطت طالبًا إياها وكنت في قمـة غضبي.

هي: بيبي حبيبي..

أنا: سيبك من الكلام الناعم ده وقوليلي إيه حكاية إنكم تـستلموا الـدبل وكمان تزودوا خاتم ألماظ.. لزومه إيه إن شاء الله؟

هي ببراءة: لا يا حبيبي.. أنا مش طماعة علشان أطمع في حتة خاتم.. ده لماما!

أنا منفجرًا: وأنا دخلي إيه،

هي بنعومة شديدة: أنك حبيبي وجوزي و..

أنا مستسلمًا: طيب أنا عايز أقولك مبروك ع الهانم الكبيرة!

قطع

الأحد:

مررت على شقة الزوجية لأطمئن على سرعة سير العمل، فإذا بالنقاش نايم على باب الشقة، أيقظته:

obeikandl.com

- أنا : خير يا أسطى.
- هو: بقى مستخسر فيه "باشا" وأنا اللي باخدمك بقاللي شهرين.
- أنا: الله يخرب بيتك وقفت حالي.. كل يوم فطار وغدا وعشا.. أنت إيه بتدهن قصر الملك فاروق؟
- طب مش تسألني نايم النومة دي ليه؟
- اعتبرني سألت؟
- علشان المفتاح ضاع مني بقاللي يومين، وباكل وباشرب ع السلم زي ما أنت شايف!
- طب ليه ما طلبتنيش يا بني آدم.
- علشان سيادتك مخبي عليَّ رقم الموبايل وكأنه سر حربي.
- طب ما بلغتش ليه ولاد أختي..
- أستغفر الله.. أنا أجرح حرمة بيت ما أعرفوش.
- طب خش اشتغل قبل ما أعورك.

وفي هذه الأثناء تأتي مكالمة على المحمول من العروسة.

- هي: بيبي.. أنت وصلت الشقة.
- أيوه يا روحي.
- وإيه الأخبار.
- كله تماما يا عينية.. ده حتى النقاش بقاله يومين مـا نـامش علـشان يسلمنا الشقة بكرة ولا بعده.
- طيب ما تنساش تجيبله غدا كويس.. ده راجل غلبان!!

الاثنين:

ذهبت للتأكيد على المأذون، ورجوته ألا يخطف المنديل من يدي سـاعة كتب الكتاب، لأني أريد الاحتفاظ به كنوع من الذكرى!

بط ٢٠١٠

الثلاثاء:

كنت في استقبال سيارة الأثاث، ولم أجد عمالاً يرضون بأجر مائة جنيه لكل منهم، مائة جنيه لكل منهم، فأقسمت على أنني سأحمل الأثاث على ظهري، وأطلع بيه الدور السابع حيث شقتي، وفي أحد الأدوار سمعت صوت في ظهري، تبعه عدم قدرتي على "فرد طولي"، فذهبت وأنا مطأطئ الرأس إلى طبيب عظام، فأشار لي بسرعة عمل أشعة، ونصحني بتأجيل موعد الفرح!

الأربعاء:

الأشعة تقول "انزلاق غضروفي" والطبيب يقول: راحة ١٥ يوم، وعروستي قفلت الموبايل في وشي، بينما حماتي رقعت بالصوت الحياني.. ليه.. هو فيه إيه؟!

الخميس:

حملني حماى حملاً إلى السيارة التي ستزفني مع عروسي، وكنا قد اتفقنا أنهم سيحملونني إلى المقعد الخاص بي في قاعة الأفراح قبل مجيء المدعوين، وكل ما عليا هو أن أشير على المدعوين بيدي حتى تعدى الليلة على خير.. ويا رب كملها بالستر.

ولكن ما أغاظني هو ما قاله أحد المدعوين وهو ما سمعته جيدًا "هو موطي رأسه ليه.. عايز يقولنا إنه متواضع؟!

.. ..

obeikandl.com

obeikandl.com

فات الميعاد

لم تكن هي أول قصة حب في حياته

كما إنها لم تكن كل الحب في ذاكرته ووجدانه..

فقد أحب قبلها حبًا مدمرًا.. وأحب بعدها حبًا هادئًا عاقلاً..

ولكنه كان كثيرًا ما يتوقف أمام قصته معها، باعتبارها قصة تحمل زخمًا من الذكريات التي تجمع بين الابتسامة والدموع.. المرح والخشوع.. الثورة والخضوع..

كانت تصغره بسنوات.. فعلمها الحب وعلمته النقاء.. رضع منها البراءة.. ومنحها ثقة الانطلاق.. كانت ملهمته.. رسمها فوق الجدران وخلدها شعرًا ونثرًا.. كثيرًا ما داعبته في شقاوة: قول يا عم نزار.. كانت تقصد نزار قباني، وكان يغضب من تلك المداعبة، ف هي ليست كبنات نزار.. لم تكن تعرف الصغيرة.. رغم صغر سنها، ولكنها كانت تعجبها قصة شعر الليدي ديانا – وما أعجب النهايات – زوجة الأمير تشارلز.. كانت تصر على أن يرسمها على ورق الاسكتش.. والمثير أنه كان ينجح في كل محاولة رغم أنه ليس رسامًا..

كانت تقول له مداعبة: العبرة مش في الرسام.. لكن الموديل هي الأصل! وكانت يرد بشفتيه المرتعشتين، وقلبه متلاحق النبضات، وعينيه النائمتين خجلاً ورقة: أنت أجمل من الموناليزا..

كانت تطير بها كلمات الغزل ولكنها ترد بمرح طفولي: يا شيييييخ ما تزودهاش قوي كده.. قول يا باسط..

obeikandl.com

كان يرد بعدها.. يا باسط.. يا خالق.. يا بديع السموات والأرض.. ما أروع خلقك على هذه الصورة..

عيناها.. سبحان المعبود.. مستديرتان.. ناعستان.. من فوقهما حاجبان مرسومان من دون تدخل بشر، أنف دقيق حتى أنك لا تشعر بوجوده.. فمها.. مرسوم كالعنقود.. ضحكتها أنغام وورود.. بجد!

ومعذرة يا عم نزار، وإن كنت لا أدري ماذا كنت ستكتب إذا شاهدتها.. رغم أن صاحبنا كان يخشى بجد على فتاته من الالتقاء ولو صدفة مع نزار الجريء جدًا والذي كان يحسده على جرأته..

كانت فتاته أشبه بالمادة الخام للجمال، فأخذ على عاتقه رعايتها وتثقيفها.. لفت نظرها إلى أشعار أمل دنقل ورباعيات صلاح جاهين، وقصائد الأمير عبد الله الفيصل، ورسائل غرام أحمد رامي، وقصص محمد عبد الحليم عبد الله.

لاحظت هي أن الحب بمعناه العاطفي مرتبط عنده بحب الوطن، وأنه يحب ليسعد الناس كل الناس..

كان يدرك أن ذلك مفهوم جديد في الحب، ونظرية غير متداولة للحب، وكان يأمل في أن يكون السن الصغير لفتاته في صالحه، ليصنع منها "بجماليون عاقلة، واعية، وطنية، منطلقة، مرحة، متفائلة، مفيدة"

وكانت النتائج أكثر من مذهلة.. الفتاة تقول له: أحبك بحروف من ورود وفل وياسمين وقرنفل.. ثم تسأل سؤالاً خطر على بالها عن الوطن.. كان يحكى أن طربه للسؤال كان مساو تمامًا لاستمتاعه بكلمة "أحبك" بدأت "الفسح" بينهما تأخذ شكلاً مغايرًا.. كانا يجدان متعتهما في أن تكتب حروف قصة حبهما في أحضان الوطن.. زارا قناطر محمد علي، وترددا مرات على

المتحف المصري حتى حفظا قطعه عن ظهر قلب، بما فيها جناح المومياوات الذي يضم رفات "المصريين" القدماء.

لم يكونا شابين من المدينة الفاضلة، بل كانت تحدث بينهما مداعبات ولكن في حدود لا يمكن تخطيها مهما بلغت شدة الوجد.. كان يسميان الشيطان "شوشو" وعندما تداعب الرغبة أحاسيسهما.. كانت تصيح هي: إيه شوشو اشتغل ولا إيه.. يرفع يده من فوق يدها، ويقرأ أحدهما أجمل ما صادفه خلال أيام البعاد..

ذهبا ضمن مجموعة في رحلة إلى الأقصر وأسوان.. قضيا أيامًا وليالي دون نوم تقريبًا.. حتى أنهما كانا ينامان جالسين.. دون أن ينتصر عليهما شوشو..

كان يسميها: ليلى

وكانت تسميه: قيس

كان يخاف عليها من "الهوا الطاير"، وكانت تحرسه بعيونها – دون غيرة عمياء – أينما ذهب أو جاء..

معها كان مرحًا إلى أقصى حد، واستطاع أن يحقنها بهذه الصفة الجميلة، حتى زادتها بهجة على جمال، كانت تجلس مع أصدقائهما المشتركين، فلا يرى سواها، ولا ترى سواه..

كانت رقيقة في تعليقاتها، مهذبة إلى أقصى حد في قفشاتها.. مبهجة بلا حدود.. ضحكتها لها رنة كصدى الصوت في معبد حتشبسوت.. لم يكن أحد يراهما دون أن يدعو الله – سبحانه– أن يبعد عنهما شرور الحاسدين.

عبرا النيل مرارًا.. وتدثرت بسترته من لسعة برد ليل الأقصر الساحرة أثناء عروض الصوت والضوء وكان يرى وجهها على جدران معبد الأقصر في زرقته الرومانسية.

تناولا معًا وجبات الإفطار والغداء والعشاء والسحور.. كانت تطعمه بيدها التي أحيانًا يقبلها ثم يسحب يده متذكرًا ""شوشو"..

طافا حول جعران ضخم في أسوان تقول الأساطير أنه أداة للتفاؤل بزواج الحبيبين.

في جزيرة الورد – في أسوان – اشترى من أجلها كمية من العقود اليدوية الصنع، تكفي بنات مدرج في جامعة مثل جامعة عين شمس.

منحته دبلة فضية قائلة: أنا باخطبك أهوه!

تقلد دبلتها الفضية كأول وسام يوضع في أصابع اليد.. أقسم أنه لن يتخلى عن الدبلة ولا عن صاحبتها مهما حدث..

قالت له مداعبة: حتى لو أصبحت في شهرة نزار قباني!

قال من دون ضيق: مش عايز أسمع سيرته!

كانت تتوقع له مستقبلاً متميزًا.. وكانت تسمى متميزًا بمصطلح آخر هو "غير عادى" أو"ماحصلش"..

هو سبق وأن سمع هذه النبوءة – حرفيًا – من والده ومن بعض المدرسين في مراحل التعليم المختلفة، ولم يكن على ثقة من تحقق تلك النبوءة..

ولكنه كان في داخل نفسه يتمنى أن يكون هذا الشخص اللي ما حصلش حتى يقترب أكثر من فتاته، فتسعد نفسه ويهدأ باله، ثم يبدأ في مشروعه الضخم – اللي ما حصلش برضه – في إسعاد الناس ورفعة الوطن.

كلام كبير.. معلهش مضطران لأن تسمعه لأن الراوي هو الذي يقول!

ومن الأقصر وأسوان عادا مباشرة لزيارة قلعة صلاح الدين، ثم قلعة قايتباي والمتحف الروماني بالإسكندرية.

وتحت ضغوط مكثفة وخطيرة استطاع صاحبنا أن يقنع أسرته بضرورة وأهمية التقدم لفتاته، رسميًا من الباب كما يقولون، تجنبًا لوقوع كارثة محتملة مع ظهور غريم ينوي التقدم لفتاته: ليلى..

واستقر الرأي على أن يذهب الشاب أولاً وحده إلى أم العروسة "ليفتح طريق" وبعدين يعدلها ربنا..

في منزل العروس – الفتاة تنتظر في شرفة شقتها الفاخرة مرتدية نفس الألوان التي طالبها بها فتاها.. طاعة وحبًا وفرحة وتفاؤلاً.. ولكن المفاجأة أن الأم كانت تميل إلى الغريم.. العريس الثاني.. فأخذت "تشتري وتبيع" في الولد يا ولداه اللي راح لوحده..

الخطوبة باظت ولكن المشروع لا يزال في رأس كليهما..

البنت تعلن العصيان.. وتقرر الذهاب مع فتاها على سنة الله ورسوله إلى آخر الدنيا.. كلام جميل نظريًا.. ولكن البنت لا تعلم أن فتاها ليس معه المال اللي يوديها أول الدنيا..

أصبح المشروع في خبر كان.

قرر الشاب أن يمتلأ بالإرادة والتحدي وقبول الواقع، بكل مرارته وغلاسته، وأن يعيش يتجرع الذكريات، ويعيد قراءة محمد عبد الحليم عبد الله، وصلاح جاهين (ويكثر من صلاح جاهين) وأمل دنقل الفيلسوف الشاعر الواهن..

ويستمع إلى آهات أم كلثوم ورامي والسنباطي..

ويعض أصابع الندم على أنه لم يكن في جرأة نزار قباني..

شيئًا فشيئًا بدأ ينغمس في الواقع الجديد، ويندمج مع رموز جديدة أهمها عمرو دياب ومصطفى قمر وحتى شعبان عبد الرحيم كان يجد متعة في الاستماع إليه..

ابتعد ولكنه لم ينس مشروعه الكبير..

كان يتذكرها لأنها تذكره بأحلام تمنى لو تحققت.. شاهدها ذات مساء صدفة في مدينة الإسكندرية.. في نفس المكان الذي قادته إليه يومًا لتحكي له ذكريات طفولتها معه..

ولكن في هذه المرة شاهدها جالسة، مسترخية، في سيارة أنيقة، مستريحة تمامًا، مبتسمة، بل الأكثر أنها كانت تداعب خصلة شعر لشخص يجلس إلى جوارها.. عرف من سابق وصفها له أنه خطيبها.. لا يعرف كم من الوقت مضى على فراقهما.. ولكنه قرر في هذه اللحظة أن يكون فراقًا إلى الأبد..

وليتحقق مشروعه الكبير أو لا يتحقق.. أمر لم يعد يشغل باله.. أو هكذا تصور في لحظة غضب.

تمضي السنون بطيئة.. مملة أحيانًا.. باسمة حينًا آخر – ولكن من المؤكد أنها تمشي..

تقدم خطوات أكثر بطئًا وإن كان هناك من يصفها بالنجاح..

استضافته بعض قنوات التليفزيون.. بعد أن لمع كرجل أعمال عرف من عرف أين هو وماذا يعمل..

ودق الهاتف في مكتب شركته.. جاءه صوت يعرفه تمامًا حتى من النفس دون أن تنطق صاحبته.. تصورت أنها لغز يتعدى قدراته.. فاجأها بأن نطق اسمها..

قالت: وده عادي.. ده صوت واحد عارفني!

تذكر المتحف المصري، الأقصر، الصوت والضوء، أسوان، معبد فيلة، جزيرة الورد، صدى الصوت في معبد حتشبسوت، قلعة صلاح الدين، قايتباي، المتحف الروماني.. تذكر مشروعه الكبير.. فصاح فجأة: إنت فين..؟

لم يكن يناديها، لكنه كان ينادى أيام لن تعود!

obeikandl.com

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

ابتسامات.. ودموع

العاشر من رمضان – هو يوم طيب، عطر..

وفي ذكرى ذلك اليوم تداعت الذكريات، التي اختلط فيها ذكرى الشهر الكريم، وطقوس الصوم والعبادة مع ذكرى النصر الغالية.. وهي ليست ذكريات (ذاتية) بقدر ما هي جزء من (ملامح) يوم غال في حياة المصريين.

كان أبي يخطو نحو الستين من عمره المديد..

كان رجلاً كبيرًا، ناضجًا وقورًا..

وكنت أحبو نحو العاشرة من عمري..

كنت صغيرًا، ولكن مدركًا، منتبهًا لما يدور حولي..

كان أبي صائمًا – كعادته التي بدأها في التاسعة من عمره إلى أن مات صائمًا، متوضئًا، متأهبًا لصلاة لم يحن وقتها بعد.. بينما كنت صائمًا – نص يوم – كما أقنعتني والدتي، مراعاة لجسدي النحيل.

كنت قد أمضيت ليلتي في منزل ابن عمي – العريس – المتزوج حديثًا، والذي كان يعمل بالخدمة في القوات المسلحة، وسمحوا له بإجازة زواج قصيرة أدركت فيما بعد أنها أحد عوامل التمويه والخداع في أكبر عملية خداع ذكية قام بها قادة المعركة.

أمضيت ليلة التاسع من شهر رمضان المعظم مع عروس في أسبوع زواجها الأول، لطمأنتها في ظروف غياب زوجها الذي تم استدعاؤه – أتصور الآن أن ذلك تم في سرية – ولم يكن هناك أي شيء يشير أن تلك

obeikandi.com

الليلة– ليلة التاسع من شهر رمضان – ستكون ليلة فارقة في تاريخ مصر..

ليلة سيتبين بعدها الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

وستكون هي آخر ليلة حزينة في تاريخ مصر السياسي.

أتصور أنها حملت بعض صفات ليلة القدر التي ترقبناها طويلاً..

على المستوى الشخصي، كنت حزينًا لسفر ابن عمي – العريس – تاركًا عروسه بعد أقل من خمسة أيام من الزفاف، وذهابه إلى مكان غير معلوم.. فقط كل ما أتذكره أننا ودعناه وهو يستقل قطارًا.. إلى أين؟.. الله أعلم.

ذهبت مع عروس ابن عمي عند الظهيرة إلى منزلنا.. حيث والدي ووالدتي وأشقائي..

كل شيء يسير على ما يرام.. العمل على قدم وساق لتحضير وجبة الإفطار.. إفطار رمضان الكريم.. الكل – كل من في البيت – يعمل.. الكل له دور.. صحيح أن الكل يؤدي دوره بشكل روتيني، ولكن نفحات الشهر الكريم تجعل لكل عمل معنى، ولكل معنى ذكرى، ولكل ذكرى متعة.. حتى وإن كانت القلوب تفتقد البهجة.. ولكن أليست أيام وليالي شهر رمضان في حد ذاتها تشكل متعة للقلب، وبشارة للنفس؟

أعود من حيث بدأت..

إلى أبي..

الذي كان يقرأ القرآن.. وهي أكثر صورة شاهدت عليها أبي في أعوامه الثمانين.. إما تلاوة القرآن الكريم أو الصلاة..

فجأة.. علا الضجيج.. اختلطت الأصوات..

وعلى الرغم من أن صبيًا في مثل عمري يمكن أن يفزعه مثل هذا الأمر، إلا أنني لم أشعر بالخوف، ربما شعرت بالرهبة، ولكن شيئًا ما جعل التفاؤل والبشرى يتسللان إلى مشاعري.. شيء ما تم بثه عبر جهاز "الراديو" الخشبي الضخم الذي يتصدر قائمة (الأهم) في حياة أسرة مصرية بسيطة..

الله أكبر... الله أكبر..

سمعتها واضحة، قوية، مزلزلة من داخل بيتنا، ومن خارجه..

الله أكبر.. الله أكبر..

نداء يتكرر

الله أكبر.. الله أكبر

زغرودة انطلقت من أمي وهي تنظر إلى أبي تستأذنه السماح في فعل لم يتكرر في حياة أسرتي، حتى في نجاح الأبناء، أو في أي حادث سعيد، فقد كانت أمي تترك مظاهر الاحتفال لمجاملات الجيران ومشاركتهم.

الله أكبر.. الله أكبر..

تعلو.. وتعلو.. ويتعلق قلبي بالنداء، ولكني أريد أن أفهم..

انخرط أبي في بكاء مكتوم.. ثم قام فصلى.

شاهدته..

ولم أسمعه..

ربما كان ذلك هو أول شعور بالارتباك يصيبني.. فأنا مازلت لا أفهم ما يحدث.

obeikandl.com

وفي السياق أتذكر الآن أن أبي لم يبك في حياته – على الأقل أمامنا – سوى ثلاث مرات تحديدًا.. هذه هي الأولى، أما الثانية فقد رأيته عليها وهو يحمل شقيقًا لي يكبرني بعد أن فارق الحياة بين يديه، أما الثالثة ف هي لحظة أن فارق أبي نفسه الحياة وهو يستشعر اللحظة بكل قسوتها.. فقد نظر إلى أشقائي وبكى في رفق، وذهبت إليه بعد وفاته بلحظات ورأيت على وجهه ألم الفراق.. رحمك الله يا أبي.. وهناك مرة رابعة بكى فيها أبي حسب ما فهمت من رواية له أنها يوم هزيمة ١٩٦٧.

الآن.. ماذا يبكيك يا أبي.. وهي المرة الأولى التي أجدك فيها على هذا النحو من الضعف، الذي تبين لي أنه (ضعف الشعور بالقوة)..

عبرنا.. انتصرنا.. رفعنا علم مصر على أرض سيناء المغتصبة، التي كانت مدنسة.. انطلقت الزغاريد.. واحد من جيراننا أعد الشربات الأحمر بماء الورد اللذيذ على الإفطار.. مصر أصبحت جميلة.. الناس سعداء.. نسينا ابن عمى على الجبهة، وقلنا لزوجته "مبروك" دون أن نسأل عن سلامته.. فسلامة مصر فوق الجميع..

أتذكر الآن أن أغلب سكان البناية التي نسكنها تجمعوا في شقة واحدة وتناولوا الإفطار ملتصقين ببعضهم البعض.. الناس تضحك.. شهر رمضان أجمل.. تذوقنا كلمة (العبور) التي مازلنا نرددها بمناسبة وبدون مناسبة كنا غير مدركين وقتها أن (العبور) شمل معنوياتنا وأخلاقنا، وسلوكياتنا.. لدرجة وحدتنا.. تمامًا كما قالوا الكل في واحد..

سهرنا نحن الأطفال في الليالي التالية حتى صلاة الفجر، نلعب ونمرح، ونستمع إلى البيانات في المقهى القريب على ناصية شارعنا..

قمنا بتصنيع مسدسات، وبندقيات من الخشب والبلاستيك، لنقلد أبطالنا وهم يحصدون المغتصبين.. ويسلسلونهم كأسرى حرب..

ولكن مازالت الأمنية قائمة.. وهي أننا إذا كنا صغارًا حينما اشتعلت الحرب وحققنا النصر، وإذا كنا نتذكر قليلاً من التفاصيل ونجهل أكثرها.. فلماذا تخفون عنا صور الأبطال.. نريد أن نصافحهم نريد أن نعانقهم.. والفكرة بسيطة وهي أن يحمل كل بطل من أبطال أكتوبر – أو أبناؤهم إن أمكن – نيشانًا أو علامة تشير إلى أنه من الأبطال، فنفسح لهم الطريق، ونخلي من أجلهم المقاعد.. ونسألهم عن أمجادهم.. التي هي أمجادنا.. مادام التليفزيون المصري لا يستطيع تحقيق أمنيتنا في مشاهدتهم على الملأ!

لا نريد لهم تخفيضات – أوكازيون – على السجاد والمفروشات والأثاث والأجهزة الكهربائية، نريد فقط أن نعرفهم لنقول لهم.. شرفتونا..

obeikandl.com

obeikandl.com

بط ٢٠١٠

الراجل كيس فلوس!

عزيزتي حواء

بعد الأشواق

ولا أقول الأشواك

طالعت باهتمام ما جاء على لسانك – وأرجو ألا يكون مصدره العقل الباطن.. في العدد السابق من حواء، بعنوان "نعم.. أنا المنسية"، تشكين فيه همومك، وتبثين أوجاعك، ولا أقول آلامك، من أنك تقدمين كل شيء.. ولا تحصدين حتى كلمة الشكر..!

عزيزتي حواء..

كم ألمتني كلماتك – ولا أقول طعناتك – فنحن يا عزيزتي اتفقنا في مناسبات كثيرة، على أن نقتسم الحياة سويًا.. بحلوها ومرها، نقتسم كل شيء.. كل شيء.. اللقمة والمتعة.. العمل والشقاء.. الدموع والابتسامات.. النكتة واللكمة.. نعم الكلمة الأخيرة لا تحمل أخطاء مطبعية، فمعظم الدراسات الجادة كشفت أنك – يا عزيزتي – تستطيعين أيضًا أن توج هي اللكمات إلى الرجل، إن لم يكن بالشكل المادي المحسوس فبالشكل المعنوي الملموس!

واتفقنا أيضًا على ألا يجهر أحدنا بالشكوى!

تعلمت ذلك من أمي، كما تعلمته من حماتي، فقد نصحتني أمي بألا أشكو زوجتي – التي هي حواء – أمام أحد، أو حتى لأحد، كما سمعت حماتي

obeikandl.com

وهي حوائية مثلك يا عزيزتي وهي تقول لزوجتي التي هي ابنتها: لا تخرجي سرك خارج البيت!

الآن.. يا عزيزتي.. هأنتي تفعلين، وتنشرين صرخاتك على صفحات حواء، ليتداولها ملايين القراء – رجالاً ونساءً – حسنًا فعلت وعلى نفسها جنت براقش..

أنت – يا عزيزتي – ولا تندهشي من تكرار وصف "عزيزتي"، ولا تقلقي من هذا الهدوء الذي يغلف حواري معك، فهو ليس جديدًا على "آدم" الذي يتحمل ما لا يطيقه بشر، من أجل أن يرى ابتسامة الرضاء على وجهك.. ولكن هل كنا نحن الرجال نبحث عن المستحيل؟ تشكين من بين ما تشكين أننا – معشر الرجال – نشتري لأولادنا الذين هم أولادك أيضًا – ملابس العيد ونتجاهلك؟

هل هذا منطق؟

فمن – بالله عليك – الذي يجرجر الرجل إلى محلات وسط البلد، وإلى أسواق العتبة ووكالة البلح، وأكبر مولات البلد، من أجل أن يشتري جورب – شراب يعني – ارتدته سمية الخشاب أو يسرا في مسلسل يبث – حصريًا – على شاشة مشفرة!

وقد تسجل بعض الزوجات حلقة من مسلسل، ليشاهدها الزوج المغلوب على أمره، ليلف بر مصر في اليوم التالي بحثًا عن حقيبة تشبه حقيبة هيفاء، أو قميص نانسي عجرم أو حذاء مي عز الدين.. وبعد ذلك تتهموننا بأننا بخلاء وغير مجاملين؟

هل هذا منطق؟

ثم تعالي هنا، يا عزيزتي، أنت تقولين أيضًا – بل تتهمينا – بأننا لا نقول لجنابك "كل سنة وانت طيبة" في عيد ميلاد سيادتك، وكيف نقولها

وأنت في حالة ضرب مستمر وزعيق لا ينقطع مع الأولاد، مع ما يصاحب ذلك من تكشير وانهماك في تنظيف الأواني، وربط "المنديل أبو قوية" على الشعر، فإذا قلت لك : صباح الخير، رددت البس وانزل علشان أروق مكانك!

فإذا تطاولت وابتسمت لك، قلتي: والنبي انت رايق.. إيه اللي مفرحك كده على الصبح؟

واستمر معك – يا عزيزتي – في الحوار العبثي، قائلاً: عايزين حاجة وأنا راجح؟

هنا تنفتح نفسك للكلام، فتبدأ قائمة لا تنتهي من الطلبات الشفهية، وبا ويل الزوج الضعيف لو نسي طلبًا واحدًا – مهما كانت تفاهته – يبقى مش ها يشوف النوم.. ليس من وخز الضمير طبعًا، ولكن من فاصل البكاء على حظك القليل، ونتيجة خدمتك لزوج "مفتري"، يواجه خدماتك الجليلة طول النهار، بأنه يستخسر شوية طلبات هايجيبهم من البقال والجزار والفران والخضري والفكهاني، واللبان، والحلواني.. وبس..

لا.. ما فيش وبس.. ولكن كل الطلبات دي تيجي من محلات بعينها، بل من بائع مخصوص داخل كل محل، لأن دي وجهات نظر وأمزجة..

هل في هذا الخضم من الأحداث، والمبادرات من جانبك، يمكنني أن أتذكر قول كل سنة وانت طيبة يا روح قلبي؟

قد أقولها يا عزيزتي بألف شكل غير ما تنتظرينه، فأنا يا سيدتي الذي أحضرت كعكة الاحتفال، وأنا – يا عزيزتي – دافع ثمن الروب الذي ترتدينه فقط عند زيارة أفراد أسرتك لنا، وتبخلين عليَّ – أنا دافع المال – بأن تتزيني به من أجلي، ومن أجل إضفاء جو البهجة على الأسرة، وتفضلين المنديل أبو قوية على شعرك. والبيجاما برائحة الثوم والبصل.

قد أقولها على طريقتي وأنا أحمل كيس الجوافة، والجرنال، وكيس اللبن و٤ زبادي، و٦ عيش من أبو ربع جنيه – عفوًا من أبى ربع جنيه حتى لا يغضب مني زميلي مصحح اللغة العربية!

كيف أقول: كل سنة وانت طيبة وأرسم علامات السعادة على وجهي وسط هذه الحزمة من الطلبات..

إنني أخشى – يا عزيزتي – أن أقولها، فتردي ردًا يحرجني، فتسقط الطلبات على باب الشقة، وطبعًا سيكون رد فعلك عنيفًا، وسيجتمع حارس المبنى والجيران..

من أي زمن أنت يا عزيزتي.. وأية رومانسية تلك التي حلت عليك فجأة..

سأصدمك يا عزيزتي وأنا أخبرك أنني رومانسي أكثر منك..

نعم.. أنا الذي لا أشتري لك ملابس العيد، ولا أقول لك في عيد ميلادك "كل سنة وانت طيبة"..

ولا تندهشي يا عزيزتي..

أنا أعمل صباحًا لأقبض مرتبي وأضعه بين يديك..

وأعمل مساء لأوفر لقمة العيش والفستان والحذاء لأبنائنا، لأسعدهم، لعلني في النهاية أسعدك..

أنا الذي أفكر ليل نهار في المستقبل، حتى يصيبني الإرهاق والأمراض، وهل سمعت يا عزيزتي الدراسات التي تقول إن أمراض القلب – الناتجة عن تفكير عميق وتوتر – تصيب الرجال أضعاف ما تصيب النساء؟

أنا – يا عزيزتي – الذي أحصل على القروض من البنوك، وأضع نفسي في بؤرة الخطر.. من أجلك يا حواء ومن أجل أسرتنا أفعلها..

obeikandl.com

بحـ ٢٠١٠

أنا الذي أسافر إلى بلاد النفط لأصاب بالأمراض، لأرسل لك المال لتنفقيه في سعادة أو غير سعادة مع أولادك..

هل ستتحملين يا عزيزتي أن أواصل الدفاع؟

ومعذرة يا عزيزتي أن جاء دفاعي بصواريخ "الآر – بى – جى".. وليتك تأخذين بنصيحة والدتك ووالدتي، وتعيدين التفكير في شكواك قبل طرحها على الملأ..

وفي النهاية لا أدري لماذا تذكرت مقولة قالتها لي نجمة سينمائية شهيرة جدًا.. عندما قالت لي: يا عزيزتي.. الرجل "كيس فلوس"..

وأنا – الآن – على استعداد- لأن أقبل مقولة النجمة وأصبح "كيس فلوس" ولكن بشرط ألا نكون "ملطشة" على صفحات الصحف.

و.. كل سنة وأنت طيبة يا عزيزتي.

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

سيد.. لامؤاخذة..

الطويل!

❖ ١٧ يوليو

قاتل الله هؤلاء المخرجين!

هل قُدَّت قلوبهم من الحجارة؟

لقد أرسلت إلى كل منهم أكثر من عشرين خطابًا.. وعرضت عليهم أن أظهر على الشاشة بدون مقابل، مجانًا.. ولكن ما من سامع ولا مجيب، كأنني أؤذن في مالطا.. لم يكلف أحدهم نفسه عناء الرد على خطاباتي، على الرغم من أنني كنت أرفق كل خطاب بطابع بريد للرد...

وكنت كلما سمعت عن اسم مخرج جديد، أمطرته بخطاباتي.. أرجوه وأتوسل إليه أن يأخذ بيدي، و"يكتشفني".. وكنت أرسل الخطابات بالبريد المستعجل حتى تصل إليه قبل أن يداخله الغرور، ويصاب "بالنفخة الكدابة".. وكانت النتيجة واحدة: لا حياة لمن تنادي!

ما الذي ينقصني من "المؤهلات" لأكون نجمًا ساطعًا في سماء الفن؟!

لا شيء.. بل إن مؤهلاتي لتفوق بكثير مشاهير النجوم.. ففي إمكاني أن أحوّل عيني مثل المنتصر بالله.. كما أجيد تمثيل التباتة أكثر مما يجيدها "وحيد سيف"، وأمثل أدوار الغرام أحسن بكثير من "حسين فهمي، ومحمود عبد العزيز، ونور الشريف".. وأعرف كيف أتصنع التقل مثل "أحمد زكي".. وكذلك أجيد البكاء كما تجيده "أمينة رزق"، ولو دخلت مباراة مع "محمود

obeikandl.com

ياسين" في التلاعب بعواطف الجمهور لما عرف الناس من منا "محمود ياسين" ومن منا "سيد ــ لا مؤاخذة ــ الطويل"! فكيف تدفن كل هذه المؤهلات؟ وكيف يظل الفنان "سيد الطويل" مغمورًا لا يحس أحد بوجوده؟!

إيه أيها الحظ العاثر!

أنا وراك.. والزمن طويل!

❖ ٢٢ أغسطس:

يا لها من نصيحة ذهبية، تلك التي قدمها إليّ محرر إحدى المجلات الفنية!

لقد أشار عليّ أن أدخل "بيت الفن" عن طريق "الريجسير" الذي يقدم "الكومبارس" إلى الأفلام.

وماذا عليّ إذا وصلت إلى الشاشة من باب المطبخ أو من سلم الخدم أو من السطح؟

أليست كل الطرق تؤدي إلى روما؟!

وبادرت بتنفيذ النصيحة، وقصدت إلى مكتب أحد المتعهدين، فقابلني بوجه متجهم، وأخذ يحدجني بنظرات متعالية.. وكأنني سائل جاء يستجديه، أو دائن ملح جاء يتقاضاه دينًا قديمًا!

وقلت لنفسي: "معلهش يا فن"!

ثم تجاهلت صلف المتعهد، وغروره، ونفخته الكدابة، وتلقيت تعليماته بالطاعة والامتثال:

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

أولاً: يجب أن أدفع عشرين جنيهًا رسم دخول، وعشرة جنيهات رسم اشتراك..

ثانيًا: أقدم له ثلاث صور بثلاثة "بوزات" مختلفة، مع ذكر الاسم والعنوان ورقم التليفون والسن والوزن وخلافه!

ثالثًا: "أتلهي على عيني" وأغور من وشه، وأنتظر حتى يرسل في استدعائي عند اللزوم!

❖ ١٤ سبتمبر:

أمضيت الأيام والأسابيع في انتظار وصول إشارة من "الريجسير".. ولكن في غير طائل.. وداخلني اليأس، وإذا بي أتلقى ــ وأنا في غمرة اليأس ــ خطابًا متوجًا باسم الريجسير.. ورقص قلبي فرحًا، وأخذت الأفكار تتوارد في رأسي بسرعة ألف فكرة في الثانية.. هل آن الأوان لأضع قدمي على أولى درجات "سلم المجد"؟ هل شاءت المقادير أخيرًا أن تنصفني من الحظ العاثر، وتأخذ بيدي، وتدفع بي إلى الأمام؟ هل آن للنجم السينمائي "سيد الطويل" أن يتألق في سماء الفن؟.

وفضضت الخطاب بيد مرتجفة وما كادت عيناي تلتهمان سطوره حتى أحسست أن الأرض تدور بي.. ورأيتني أتخبط في موجة عاتية من "خيبة الأمل"..

كان الخطاب خاصًّا برسم الاشتراك.. إذا لم أبادر بتسديده شطب "اسمي الكريم" من قائمة الموعودين!

وتحاملت على نفسي، وذهبت إلى هناك.. كان المكتب مثل "خلية النحل".. وجوه جديدة من الجنسين، من مختلف الأعمار، والأحجام، والأشكال..

وأخذت أتجاذب أطراف الحديث مع أحد الهواة.. وكانت تبدو على وجهه سيماء عزيز قوم أذله الفن، وقدمت إليه سيجارة فتناولها في لهفة أيقنت معها أنه "خرمان" منذ أمد بعيد.. وسألني: هل ظهرت في بعض الأفلام، فكلما أجبت بالنفي، وذكرت له أنني أنتظر دعوة "الريجسير" انطلق ضاحكًا وقال: إنت باين عليك عبيط! لو انتظرت إلى الأبد لما تلقيت إلا خطابات المطالبة بدفع الاشتراك!

وأفهمني أنه لكي أظفر بالظهور على الشاشة، ولو لثوان معدودة، يجب أن أواظب على الحضور يوميًّا إلى المكتب لأخذ مكاني بين ملاطيع الفن، حتى إذا تلقى "الريجسير" طلبًا مفاجئًا من أحد أصحاب مخرجي الأفلام بادروا بشحني مع الممثلين الكومبارس المطلوبين!

❖ ١٩ أكتوبر:

ظللت أتردد على مكتب الريجسير يوميًّا، من العاشرة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر، ومن الخامسة حتى الحادية عشرة مساءً، وقد اندمجت مع زملائي، وهم جميعًا ممن ناداهم الفن فلبوا النداء.. وضحّوا في هذا السبيل بحاضرهم ومستقبلهم، فجنى عليهم الفن دون أن يجنوا منه شيئًا.

وكان العمل الوحيد الذي نؤديه خلال هذه الساعات الطويلة، أننا نهب واقفين كلما سرت الهمسات تقول: "جاء الأستاذ".. فيمر بنا دون أن يكلف نفسه عناء التحية.. ثم نهب واقفين إذا غادر مكتبه وانطلق يهرول إلى الخارج..

والأستاذ المذكور رجل عجيب التكوين، يطلق شعر رأسه بغير حساب ولا يهتم بتمشيطه.. ويرتدي قميصًا ملونًا لا يهتم بتغييره أو غسله أو تنظيفه، وإنك لتطالع وجهه فتكاد تجزم بأنه لم ير الماء أو الصابون منذ أن كان في المهد صبيًّا!

وكان يعتذر عن هذا الإهمال بقوله:

ماذا أفعل؟ إن الفن لا يدع لي وقتًا.. ولا يمكن أن أترك الاهتمام بالفن لأهتم بنفسي! ومما هو مأثور عنه، أنه كلما فاتحه أحد الكومبارس في أمر العمل، وذكّره بأنه أمضى الشهور الطويلة دون أن يحظى حتى برؤية الأستوديو انتفض قائلاً:

إنت فاكر المسألة سايبة.. سبهللة يعني؟ إيه.. عايز تطلع المجد بين يوم وليلة؟ ما كانش حد غلب.. يجب أن تعرف أن طريق المجد ليس مفروشًا بالزهور والرياحين.. أتعرف النجم السينمائي "فلان" وزميله "علان" وزميله "ترتان"؟ ياما "اتلطعوا" أمام مكتبي شهورًا وسنوات قبل أن أمهد لهم سبيل الظهور.. أنا الذي مهدت أمامهم الطريق وصنعتهم.. أنا صانع النجوم و"خالق الكواكب"! روح من وشى الله يهديك الساعة دي ولا تعكر مزاجي!

ولذلك لم يكن يفكر أحد الهواة في الإلحاح على خالق الكواكب ليلحقه بعمل خشية أن يغضب عليه فينحيه عن ملكوته!

ووقعت المفاجأة الكبرى.. كان ذلك في الحادية عشرة صباحًا حين فتح باب حجرة مكتب الأستاذ واندفع منه بسرعة نحو البهو الذي جلسنا فيه.. فوقفنا جميعًا إجلالاً واحترامًا، ووقف هو يجيل فينا نظرات زائغة، ثم أخذ ينتقي منا بضعة أشخاص كنت من بينهم، ودعانا إلى مكتبه ثم قال في لهجة آمرة: ليذهب كل منكم ويتصرف في بدلة وطربوش أحمر ويعود حالاً قبل

مرور ساعتين.. ولما هممنا بالانصراف قال في لهجة قاسية: فرصة عمركم.. الفيلم تاريخي، والمخرج عايزكم علشان تهتفوا في المظاهرة.. من يتأخر نصف دقيقة فلن أتأخر عن طرده، كله ييجي جاهز بهدوم التصوير علشان مفيش وقت!

وطرنا سراعا نتصرف في البدل والطرابيش، وعدنا إلى المكتب، فلم يكد الأستاذ يقع نظره علينا حتى صاح يقول:

ماذا تفعلون هنا يأولاد الكلب.. إلى السيارة.. إلى السيارة..

قالها بلهجة "جورج أبيض" في دور "عطيل" وهو يقول:

ــ إلى الوراء.. أيها الخونة.. إلى الوراء!

وأسرعنا إلى السيارة فإذا بها سيارة كبيرة مكشوفة من سيارات النقل، لا مقاعد فيها ولا أماكن للجلوس، وكان قد سبقنا إليها أكثر من عشرين شخصًا.. وكان منظرًا عجيبًا أن يرى المارة في أشد شوارع القاهرة ازدحامًا سيارة نقل داخلها شحنة من لابسي الطرابيش وكأنهم قطيع من العجول في الطريق إلى المذبح!

أيها الفن.. كم من المهازل ترتكب باسمك!!

❖ ٢٠ أكتوبر:

وللمرة الأولى تطأ قدمي عتبة جنة الفن: الأستوديو.. وكان لهذا الحدث أكبر الأثر في نفسي.. وأخذت أدور بنظري فيما حولي وأنا خافق القلب مبهور الأنفاس، لا أكاد أصدق أن أحلامي بدأت تتحقق.. وأنني سأقف أمام الكاميرا، وسأطالع الجمهور بشخصي الكريم على الشاشة.. وشطح بي الخيال بعيدًا، بعيدًا جدًّا.. وتصورت نفسي وقد تسلقت سلم المجد بسرعة وثبات، وأصبحت نجمًا يرمقه الجمهور بعين الإعجاب والتقدير!

سوف تنهال عليَّ رسائل المعجبات، وكل واحدة منهن ستطلب إليّ أن أهدى إليها صورتي.. ويومها لن أتبع هذا الأسلوب السمج الذي يتبعه كبار الفنانين الذين يهملون الرد على رسائل المعجبين.. بل لا بد أن أرد على كل رسالة بأفضل منها، وأهدي صورتي لكل من يطلبها.. لن أكون متعجرفًا، متكبرًا، مغرورًا.. مثل هؤلاء النجوم الثقلاء.. لا! بل سأكون مثال التواضع ودماثة الخلق.. لن يغير النجاح من أخلاقي، ولن تبدل الشهرة من طباعي، سأظل كما أنا سيد ــ لا مؤاخذة ــ الطويل... عفوًا النجم اللامع الأستاذ سيد الطويل!

وأفقت من خواطري على صوت المخرج يصرخ: طلّعوا الحيوان ده بره..

وتلفت فيمن حولي لأرى الحيوان المقصود.. ولَشدّ ما كانت دهشتي حين لاحظت أن الأنظار جميعها قد اتجهت إليَّ، مشفوعة بابتسامات لم أفقه معناها أول الأمر.. وزالت دهشتي حينما تداولتني الأيدي بسرعة، وإذا بي أستقر أمام الباب الخارجي للأستوديو!

وعجز تفكيري عن تصور ما حدث.. وكيف ألقوا بي هكذا في عرض الطريق؟

بل كيف انهارت في لحظة قصور الأماني والأحلام التي شيدتها في الخيال.. ولماذا؟

ولاحظت أن بواب الأستوديو، وهو شيخ كبير طيب القلب، يرمقني بعين الرثاء، فاستولى عليّ الخجل.. وكأنما أدرك ــ بحكم تجاربه بالطبع ــ أنني في موقف لا أحسد عليه، فقال في إشفاق:

ــ هُمّ طردوك ليه؟

فقلت له بلهجة من يصحو من حلم مزعج:

ــ والله يا عمّ.. لا أعرف!

ــ لازم عملت شوشرة جوّه، والاّ ما سمعتش الكلام..

ونبهتني عبارته إلى تذكر ما حدث.. لقد كنت شارد الذهن في أحلامي الذهبية، حين أمر المخرج جميع الكومبارس أن ينتقلوا من أماكنهم توطئة لتصوير مشهد جديد.. فانتقلوا جميعًا إلا أنا.. فقد ظللت جالسًا أسبح بخيالي في ملكوت المجد، وكان المخرج يصيح المرة بعد الأخرى قائلاً:

انت يا تور ياللي في الموقف.. يا حمار أفندي، يا حمار بيه.. يا حمار باشا!

وكنت في خلال شرودي أتوهم أن هذا الكلام، من أصل حوار الفيلم الذي يدور فيه العمل في البلاتوه.. ولم يخطر في ذهني قَطّ أنني المقصود بكل هذه الألقاب!

وألفيتني أواجه مأزقًا حرجًا.. كيف أقطع الطريق من الأستوديو إلى البيت بهذه البدلة القديمة وهذا الطربوش، ولا سبيل للوصول إلى زملائي الكومبارس لأقترض منهم ثمن توصيلة التاكسي وليس معي مليم واحد بعد أن نسيت كل النقود في البنطلون الآخر ونزلت متعجلاً اللحاق بفرصة العمر؟!

وفي سبيل الفن قطعت المسافة سيرًا على الأقدام، غير حافل بنظرات الدهشة التي يرميني بها المارة، ولا بعبارات التريقة التي غمرني بها الشباب الرِّوِش من عابري السبيل.. وانقطعت صلتي بمكتب الريجسير؛ إذ لم أجد في نفسي الجرأة الكافية لمواجهة زملائي الكومبارس بعد الذي نالني من البهدلة على مرأى ومسمع منهم!

بخ ٢٠١٠

أتراني قد وصلت إلى النهاية المؤسفة لتلك الأحلام والآمال؟

لا.. وإلا فأين إذن قوة الإرادة التي تقهر الشيطان؟

ومضيت أفكر طويلاً.. فرأيت أن الوصول إلى قمة المجد من سلم المطبخ غير ميسور، فالسلم طويل، طويل.. وهو مزدحم بالصاعدين والنازلين، وليس هناك موضع لقدم.. فلماذا لا أصل إلى القمة من الباب الكبير.. عن طريق أحد المخرجين؟

لكن.. كيف السبيل إلى التعارف بالمخرج، ذلك "الإله" الحاكم بأمره؟!

❖ ٢٧ نوفمبر:

فُرِجَتْ!

وجاء "الفرج" عن طريق إعلانات الوفيات في جريدة الأهرام.. حين وقع نظري على نعي والد أحد المخرجين المعروفين.. ومصائب قوم عند قوم فوائد!

فما إن قرأتُ النعي وعرفتُ عنوان المرحوم حتى سارعتُ إلى المنزل، واختلطتُ بالمعزين، ثم قمتُ بحركة التفاف حول المخرج، وأخذت أسوق إليه عبارات التعزية وأنا أبكي بكاءً مرًّا استلفت الأنظار إليّ.. ويبدو أن المخرج دهش لرؤية شخص لا يعرفه وهو مفلوق من البكاء على أبيه فاقترب مني قائلاً:

ــ إنت تعرف المرحوم؟!

فقلت بصوت عالٍ، والدموع تكاد تخنقني:

أعرفه! ما عرفوش إزاي؟ ده أفضاله كانت على الناس كلها.. يا سلام! وهو ده كان إنسان؟ ده كان ملاك.. ده القرش اللي كان في جيبه ما كانش له.. ده كان للناس كلها.. يا خسارة!

وأخذت أضج بالبكاء حتى اضطر المخرج نفسه إلى محاول التخفيف عني فمضى يقول:

ــ معلهش.. شد حيلك.. كلنا لها..!

وأخذت أقوم بدور "هنكرة" من النوع الثقيل، فمضيت أرتب مع المخرج شئون الجنازة، وتوليت الاتفاق مع الفراش لإقامة السرادق، ومع "الحانوتي".. وقمت باستخراج تصريح الدفن، واشتركت في حمل نعش المرحوم حتى كاد كتفي ينخلع لثقل وزنه أو لثقل دمه، مافيش فرق.. وفي المساء ظللت ألازم المخرج، وأتولى استقبال المعزين، وإرشادهم إلى أماكنهم، وتقديم السجائر لهم، حتى إذا انت هي المأتم في ساعة متأخرة من الليل، شدّ المخرج على يدي قائلاً:

ــ انت تعبت كتير يا...

ــ محسوبك سيد.. سيد ــ لا مؤاخذة ــ الطويل!

ــ يا أستاذ سيد.. دنا متشكر جدًّا..

ــ لا شكر على واجب يا أستاذ.. ده المرحوم كان غالي علينا قوي.. ده كان دايمًا يقول لي: ابقى فكرني يا ابني يا سيد علشان أوصى عليك ابني يظهرك على الشاشة، لكن للأسف.. لم أشأ أن أثقل عليه وهو في مرضه..

ــ كده؟

ــ أيوه.. وكان كمان ــ الله يرحمه ــ بيقول: أنا نفسي قبل ما أموت أشوفك بتمثل في السينما!!

فهزّ المخرج رأسه وقال وهو يبتسم ابتسامة خبيثة:

ــ لكن ده المرحوم كان أعمى.. يبقى كان حايشوفك إزاي؟!

ولم ارتبك من المفاجأة التي لم أكن أتوقعها، بل اندفعت أبكي وأقول:

ــ يمكن كان قصده إنه يطمئن عليَّ قبل ما يموت!

وأخذ المخرج يربت على كتفي وهو يسرّى عني بعبارات التعزية، فقلت له وأنا أكفكف دموعي:

ــ مِن قِلّة بختي إنه توفى قبل ما يوصّيك عليَّ!

فقال المخرج:

ــ ما تخافش.. اعتبر إنه وصاني عليك!

ولو طاوعت نفسي لقفزتُ فرحًا لهذا الوعد الصريح.. ولكن المقام لم يكن مقام "أفراح"، فتمالكتُ عواطفي وشكرته وأنا أشرق بدموعي!

❖ ١٥ ديسمبر:

ومنذ وفاة "المرحوم" وأنا أتبع للمخرج مِن ظله، إذا كان ذاهبًا إلى إحدى الحفلات سارعتُ وفتحتُ له باب السيارة وانحنيتُ له في احترام، ثم أغلقت الباب ووقفت وقفة "انتباه" حتى تغيب السيارة عن الأنظار..

وإذا احتفل أحد أقاربه بعيد ميلاده تبرعت بتنظيم الحفلة، وشراء الحاجات، وقدمت باقة الزهور.. والله يعلم مدى الجهود المضنية التي بذلت في سبيل جمع ثمنها.. وعندما يمضي سهراته هنا وهناك كنت أنتظره في الخارج لكي أطمئن عليه، وإذا اختلف مع أحدهم تهيأت للانقضاض على

obeikandl.com

خصمه.. وإذا سكر وأثقل في العيار حبة وأطارت الخمر صوابه، عملتُ على توصيله إلى منزله متكبدًا نفقات تاكسي دون أن أحاسبه عليها..

وهكذا جعلت نفسي وقفًا على خدمته في أفراحه، وأتراحه، وسهراته.. وكان يقول لي في مختلف المناسبات:

ــ لا أدري ماذا كنت أفعل بدونك يا أستاذ سيد.. أنت تتعب نفسك معي كثيرًا.. ولكنني سأعوضك عن هذا كله في الفيلم القادم.. ثم يزغدني مباسطًا وهو يقول: إلى الفيلم القادم يا بطل!

❖ ٦ يناير:

كان هذا اليوم.. موعد ابتداء عمل المخرج في فيلمه الجديد.. وبكّرت في الذهاب إلى الأستوديو لأكون في استقباله عند حضوره، وجاء أخيرًا.. بعد انتظار ثلاث ساعات، وكان معه المساعدون والممثلة الشهيرة بطلة الفيلم..

وتقدمتُ لمصافحته باسمًا، ولكنه تجاهلني، وتجاهل يدي الممدودة إليه، وتحوّل إلى بطلة الفيلم التي يتأبط ذراعها يمازحها ويتحدث إليها..

ودخلوا جميعًا إلى البلاتوه وأنا في أعقابهم.. وجلس هو ومَن معه في حجرة الاستقبال التي كانت من بين ديكورات الفيلم، ووقفتُ أنا بعيدًا بحيث يراني كلما نظر في مواجهته..

وطال وقوفي، وهو لا يعبأ بي ولا يلتفت إليّ، فاغتنمت فرصة انفراده بمساعده وتقدمت إليه بابتسامة عريضة، فلما صرتُ أمامه رفعتُ يدي بالتحية، فحدجني بنظرة صارمة وقال في لهجة حفلتْ بالترفع المشُوب بالازدراء:

بخ ٢٠١٠

ــ إنت إيه؟

ولم أكن أتوقع هذا الاستقبال الجافّ.. وقبل أن أفيق من ذهول المفاجأة صاح قائلاً:

ــ اللي عايزني في حاجة يقابلني برّه مش هنا.. هنا شغل بسّ!

وهممتُ أن أقول له شيئًا، وكأنه أدرك ما في نفسي فهتف في حِدّة آمرة يقول:

ــ مش عايز حَدّ غريب هنا.. كله يطلع بَرّه! فين حسنين؟!

وتوالت الأحداث بسرعة..

حيث تقدم نحوي عملاق ضخم الجسم، يتطاير الشرر من نظراتــه، ثــم انقضّ عليّ ورفعني في الهواء وقد تعالت ضــحكات المخــرج ومــساعديه وبطلة الفيلم.. وظَلّ حسنين يحملني حتى وصل إلى الباب الخارجي، ثم قذف بي وكأنه يتخلص من جوال بطاطا!

❖ ٢٢ فبراير:

على الرغم من ذلك الفصل البايخ الذي لقيته من المخرج، وتَنكّــره لــي على هذا النحو المهين، فقد اعتبرت أنها دعابة بريئة، ولم يكن في وســعي إلا أن أعتبرها كذلك، ما دمت أهدف إلى المضيّ في طريق المجد!

ومضيتُ ألاحق المخرج في بيته، وفي المقاهي التي يتردد عليها، وفــي الأستوديو.. وكما قفشته في مكان، تظاهر أنه لا يعرفني، فأذكّره بشخصي، ووقتها يقول في لهجة تمثيلية مكشوفة:

ــ أوه.. الأستاذ سيد الطويل.. يا أخي قول لي كده، تعـــال بكـــره فـــي الأستوديو ضروري.. أنا عاوزك.. عاوزك في دور مهم!

وأذهب إلى الأستوديو، وأبعث إليه مَن يُخبره بقدومي، فيكون الرد:

ــ الأستاذ مشغول.. تعال له بعدين!

وتكررتْ هذه النمرة حتى انتهي من إخراج الفيلم!

وقابلته مصادفة في أحد المقاهي، فهتف بي يقول:

ــ إنت فين يا أستاذ سيد يا طويل؟ ما لَكْش حقّ! يظهر إنك خلاص مـــا بقتش غاوي سينما زى زمان!!

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

SMS

عندما اشتد به الألم.. وهو ألم معنوي أكثر منه مادي.. أمسك الموبايل، وأرسل رسالة قصيرة – SMS إلى أحدهم كان هذا نصها:

"قريبي وصاحبي الحبيب.. مساء الفل.. اكتشفت اليوم مثل شعبي غايـة في الروعة، يعبر عن حالي ومعاناتي.. مثل يقدم تفـسيرًا واضـحًا تمـام الوضوح، لهذا التجاهل و"الركل" غير المبرر من جانبكم تجاهي..

المثل يقول: "الفقير ريحته وحشه" – لا مؤاخذة – مع مراعاة أن الفقـر والضعف مترادفان.. تقريبًا.

ولهذا يبتعد عنا الأغنياء، ويتهربون من الرد على رسائل الود..

أخي الحبيب.. لك مني كل الحب.. والود!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

ضمـــير

في جلسة جمعته بعدد من رجال المال الكبار، والمشاهير، كان من بينهم مسئول حالي، كان المسئول مطمئنًا لجميع الحاضرين، وتطرق الحوار إلـى موضوعات كثيرة، من بينها الجنس، وعندها قال رجل المال وكـان أكبـر الحاضرين سنًا، ورصيدًا لديهم، وكانت له مهابة عند الجميع، قال: أنا لمـا بمارس العلاقة مع الهانم – زوجته – بنام بعد نهايتها بثانية..

وتدخل المسئول، وقد وجد ما يتفشخر به:

بالعكس.. أنا لما بعمل الحكاية دي مع (الحاجة) بصحصح، ومش ممكن يجيلي نوم قبل الفجر..

لم يتمالك الجورنالجي نفسه، فمال على رجل المال – كبير القعدة – قائلاً له همسًا: طبعًا.. ضميره بيأنبه على اللي عمله في (الحاجة)!

وهنا انطلق الكبير بضحكات عالية، كادت أن تخنقه من تتابعاتها.

وحينما سئل المسئول، وقد فطن إلى أنه مصدر التعليق والضحكات: "إيه الحكاية"..

قال الكبير: ما فيش.. ما فيش.. الله يقويك

إلى هنا.. انسحب المسئول تاركًا المكان.. والأصحاب!

ونادى على سائقه الخاص: تعالى!

obeikandl.com

زهرة السوسن

للعلم فقط..

زهرة "السوسن" التي يفضلها عشاق كثيرون، بألوانها الزاهية، لها عيب وحيد هي أنها زهرة غيورة جدًا، عندما توضع مع زهرة أخرى من نـــوع آخر، فإنها تفرز على الفور، سمومًا تقتل بها الزهرة المنافسة..... ربنـــا خلقها كده.

والمعلومة علمية جدًا!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

قبـــــلات

قالوا عنه أن له جاذبية ما، ربما كانت في ضعفه، ربما كانت في خجله، ربما كانت في ملامح وجهه الوديع..

وفي الجامعة، وفي أول جورنال عمل به، أطلقوا عليه – دون اتفاق مسبق – العندليب.. عندليب الجورنال

ما هو وجه الشبه؟ راجع السطور الأولى..

لاحظت الأسرة ذلك، عندما دخل مستشفى أبو الريش في طفولته المبكرة، وكان هناك صراعًا محمومًا بين الممرضات على استضافته، ومنافسة ساخنة للحصول على أكبر عدد من القبلات.. كانت قبلات بريئة ظل يبحث عن طعمها لسنوات فيما بعد.

القبلة التالية نالها من راقصة، من راقصات شارع محمد علي، وهو لا يزال في طفولته، عندما كانت تحيي عُرسًا في الحي الذي يسكنه، وراح من خلف الخيامية التي تستر الفرقة، في حين لا تستر صدر الراقصة المنتصب إلى الأمام، اقترب منها، وجذبها من قصاقيص قماش لامع يداعب ساقيها، فهوت عليه بصدرها الرجراج، قال لها في أول حالة تلعثم تنتابه: لقد "أبدعت" لك أغنية كتبتها بنفسي..!

قالت: سمعني يا عين أمك بس قوام.

قال: إوزن نفسك مرة يا قلبى/ هاتلاقيك تقلت وتقل الحب فيك/ وأنا بصراحة كده يا قلبى تعبت من شيلك وشيل الحب فيك...

obeikandi.com

أطلقت الراقصة "سمرا" وهي غير مشهورة – ضحكة لم ينـــساها أبـــدًا، وأتبعتها بقبلة، لو وصفها لاعترضت الرقابة..

ثم حدثت المفاجأة: رجل في عقده الرابع يصعد على المسرح المكشوف، محتضنًا العندليب قائلاً: إنه ابنه – وهو غير صحيح – ويحاول أن يحـــصل على قبلة من "سمرا" ولكنها كانت تجيد حماية نفسها بشكل أذهل العنـــدليب الصغير!

obeikandl.com

٧ صنايع

في طفولته وصباه عمل في عدد كبير من المهن والحرف.

ويتذكر تلك الأيام فيقول أنه بدأها مبكرًا جدًا، وكان يمكن أن يكون له شأن كبير في هذا المضمار، نظرًا للخبرة النادرة التي اكتسبها، بعد أن كان يشارك وهو لا يزال طفل صغير لا يتعدى الثانية عشرة، في مزادات تضم كبار تجار الخضر والفاكهة في سوق روض الفرج القديم – وهو السوق الذي صور فيه أفلام سينمائية عديدة في زمن الأبيض والأسود، لعل أشهرها كان فيلم "الفتوة" للمخرج صلاح أبو سيف والطريف أن (الطفل....)، حقق شعبية لا بأس بها وسط تجار روض الفرج، لإعجابهم بكفاحه، خاصة أنه كان يتمتع بقصر القامة، واللسان الفصيح، مما جعله يشبه الفنان الطفل أحمد فرحات، وكان مشهدًا يدعو للضحك – وربما الإعجاب – وهو يزايد على ثمن فاكهة البرقوق، أو المشمش (تسليم السوق)، وعندما يمرر له التجار الكبار "البيعة"، يطلب قفصًا واحدًا (زنة نحو عشرة كيلوجرامات)، عليه أن يحملها بجسده الضئيل، ويده القصيرة، من روض الفرج إلى المطرية، ليبيعها بعد غسلها "بذمة وضمير" بالقطعة: المشمشاية، أو الخوخاية، أو البرقوقاية بخمسة مليمات.

وكانت أكثر المشتريات، فتاة في مثل سنه، وضعف حجمه، تتمتع بكامل مظاهر الأنوثة.. صدر مستدير بارز للأمام، وجه مستطيل أبيض بلون المرمر، عينان خضراوان – لا مكان للخيال في هذا الوصف – طول فارع لأنثى مكتملة رغم سنها الصغير، هل كانت تشترى منه، لتساعده، أم لتستمتع برؤية تأثيرها عليه؟

لم يفهم.. ولكنه ضم هذه الواقعة لسلسلة المفارقات الناعمة، التي كانت تشكل شخصيته الجاذبة للنساء، وإن كان لم يستفد منها، بل أضرته في معظم الحالات!

هذا يعود بنا إلى شخصية هذا الفتى، الذي بدأ حياته ميالاً للتجارة، وابتعد عنها بركلة من قدم قريب.. دون أن يبتعد يومًا واحدًا عن القلم والكتاب.. الكتاب والقلم.

لم يتوقف لحظة ليسأل نفسه، عن هذا التزاوج بين القلم والتجارة.. الآن يتصور أن حاجته المستمرة للمال، ربما كانت سببًا في هذا الاتجاه، في حين يرى مرات أخرى، أنه ربما كان يبحث عن "تتيجة" لعمله، ويا حبذا لو كانت هذه النتيجة فورية.. كان يبحث عمن يقول له: لقد نجحت، حتى لو كان من يقول له هذا هو "هو" نفسه..

وهذه الواقعة ربما تدلل على هذا المعنى..

كان شقيقه الأصغر (.....) يصغره بأربع سنوات، وأجرى لتوه عملية الطهارة التي يجريها الأطفال الذكور المسلمون، كان هذا الشقيق الطفل، يتمتع منذ طفولته برعاية فائقة من الأبوين، دلال ومحبة وعطف ورعاية وحنان، وهو ما قد يكشف أن الإنسان يولد بقدره، يولد بحظه، وهو قدر محتوم، يطاردك أينما كنت، وأيما فعلت..

الطفل منزوي في ركن من إحدى غرفتي المنزل، يرتدى الجلباب الأزرق، لا يجد شيئًا يسليه..

هنا فكر (.....) في الاستفادة من الموقف – وليس استغلاله – ذهب واشترى كمية من اللب – التسالي – نوع واحد منه، وأعاد تعبئتها في قراطيس صغيرة، وعرضها على الأخ، كل شيء بثمنه، وطلبات الشقيق

المطّاهر أوامر عند والديه، هو يأخذ الملاليم من أبويه، وبنفقها على الأخ، الذي "يتنشأ" على مليم.. ثمنًا لقراطيس اللب..

قرطاس.. ورا قرطاس.. حتى ملَّ الصغير..

وهنا كان لابد من تطوير للفكرة.. وتغيير البضاعة.. فاشترى كرة بلاستيكية ملونة ثم أعاد بيعها للصغير.. حتى جمع بضعة قروش، لا يتذكر مصيرها الآن.. ولكنه يتذكر جيدًا أن بينه وبين المال عداوة: جائز.. سوء حظ: ربما! حتى المرة الوحيدة التي ربح مالاً، عن طريق الحظ المباشر، كانت أمام مدرسته الابتدائية.. رجل يقف يبيع "البخت".. والبخت يعرفه كل أبناء جيله: بسكويت أحمر على شكل قراطيس مقلوبة، بداخلها بضع قطرات من العسل الأسود، وسعيد الحظ هو من يجد بداخلها قرش أو تعريفة (خمسة مليمات)، كان معه في هذا الصباح – على غير العادة – خمسة مليمات، لعب بها لعبة البخت، وضع تركيزه على تابلوه البسكويت، وحاول أن يستنتج: أين يضع الرجل بسكوتة الحظ.. ونجح، عد ما ربحه من اللعبة كان أربعة قروش – أربعون مليمًا كاملة – البائع كان ساخطًا إلى أقصى مدى، لأن الأطفال لا يلعبون على التابلوه الذي استحوذ أحدهم على البسكوتة الرابحة، في حين يهلل الأطفال التلاميذ، كلما سحب صديقهم بسكوتة وأخذ نقودها، ليعطيهم البسكوت بالعسل في حين يحصل هو على النقود..

والغريب أنه بعد هذا التاريخ لم تعرف النقود طريقًا إلى يديه عن حظ.. بل كانت تأتى عن عمل.. بل وعمل شاق، مرهق..

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

النظرة الأخيرة

كانت مناسبة غريبة تلك التي جمعت شمل "العائلة"، بعد طول شتات. وفاة أحد الأقارب – من بعيد – ولكن كان مدهشاً حرص الجميع – دون اتفاق مسبق – على التواجد في سرادق العزاء.

ربما كان منهم من وجد في المناسبة (فرصة) للوصول إلى مكاسب شخصية، ولكن من المؤكد أنه كان من بينهم من جاء على "عماه"، يؤدى واجبًا مقدسًا، لذلك كان المشهد غريبًا، وربما طريفًا، ومثيرًا، لمن يراقب بعناية.. ناس صُدمت بوجود ناس، وناس تلاشت فور الظهور، وناس احتمت بأصدقاء – ليغلق الباب أمام إيه كلمات عتاب، وناس سلَّمت وجناتها للقبلات الباردة.

لعل الغريب في المشهد، هو ذلك الحضور الطاغي للنساء، نساء شاركن – بلا حياء – في المناسبة رغم أنهن عملن بدأب على منع هذا التجمهر المضر بمصالحهن.

في المشهد كان يُرى – بوضوح تام – أقرباء من الدرجات الثانية والثالثة، ليس لهم في الثور ولا في الطحين – تعبير الحس الشعبي العبقري – جاءوا يؤدون واجبًا حقيقيًا، دون مصلحة.

شعور غامض انتاب الجورنالجي، وهو يستمع لآيات الذكر الحكيم، بأن من يراهم اليوم، هم في الغالب لن يراهم – ولن يروه – مرة أخرى، لا في الغد القريب، ولا البعيد..

لذلك أخذ منذ اللحظة الأولى له في السرادق، أن يدرب نفسه على ما هو قادم، فأغلق عينيه عن النظر إلى بقية أفراد العائلة في وجودهم، حتى القُبلة العميقة التي راح يطبعها على يد عميدة العائلة، طبعها وهو شبه نائم، مغمض العينين، مستريح الضمير.. وراحت الأم تدعو لمن يُقبِّل يديها، فشكرها بامتنان، ولكن لحسرته اكتشف أنها تدعو لأحد أبناء المرحوم حيث لم تتبين وجهه بفعل سحابة من المياه البيضاء على عينيها.. فبكى تأثرًا بالمناسبات الثلاث: مرض أمه، ودعائها لغيره.. وحسرة على المرحوم الذي طالما سمع أنه يحبه ويذكره بالخير.

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

النور جه

كان في الحي شيخ وقور، صفة واحدة كانوا يأخذونها عليه، وهي حبه للحديث مع النساء، نساء الحارة، وأيضًا الحواري المحيطة.. كان يخص نساء الأدوار الأرضية بدعوتهم لنشر غسيلهم في بلكونته.. وكانت زوجته أكبر منه بسنوات طويلة، هي صاحبة البيت، امرأة طاعنة في السن، لا يرجو منها الرجال خيرًا.. وهو في عنفوان فحولته.. انقطعت الكهرباء عن الحارة، وطال انقطاعها.. وقالوا إنها لن تأتي الليلة. فجأة عادت الكهرباء.. وحدث أن دخلت الحاجة إلى البلكون..

صفق الشيخ، وهلل، ودبدب "مغلوشًا": النور جه يا حاجة.. النور جه يا حاجة..

كان بملابسه الداخلية..

.. وامرأة تنشر الغسيل..

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

إشطة!

برعي.. صبي من محافظة نائية.. فشل في الدراسة، احترف تجارة المخدرات، ليس التجارة بالضبط، ولكن أوكل إليه المعلم متعهد المنطقة، بمهمة التوزيع، هربًا من المراقبة..

برعي وقع في فخ الإدمان، وذات يوم أقبل برعي، على بيت الله.. ذهب يؤدى صلاة العصر جماعة، وبعد انتهاء الصلاة مد جاره في الصف، يده قائلاً: حرمًا يا أخي.. برعي نسى ما يقال في هذه المناسبة، فكوَّر يده وقبلها بطرقعة قائلاً: إشطة يا عمى!

شيء من هذا القبيل وقع للطفل صابر، الذي أدمن شرب نوع من دواء الكحة، عرف من أقران السوء أن له فعلاً مخدرًا، ولكن صديق له أقنعه أن يتوب إلى الله، فتحرك ضميره، فدخل الحمام بعد انتهاءه من المذاكرة، ليستحم، ويرتدي جلبابًا أبيضًا ناصعًا، ونزل من بيته قاصدًا المسجد لقضاء صلاة الفجر.. في الطريق قابلته امرأة، وكان واضحًا أنها بغير ثياب داخلية، فتبعها حتى وقع المحظور! فترك الصلاة، ومشى في طريق نجس، ثم عمل في تجارة الحشيش. حتى لقى حتفه على يد رجال الشرطة.

وهجمت الشرطة على وكر مُعلمه، الذي انتبه في لحظة مناسبة، فألقى بطُرب الحشيش من البلكون على متجر علاّف الذي فوجئ بالسماء تمطر حشيشًا – وكان من محبيه – فدفنها في قلب الغلال.. بعد انتهاء "الكبسة" ذهب تاجر المخدرات يطالب ببضاعته من العلاّف، فقال له مستنكرًا.. حشيش إيه لا سمح الله.. وإذا كنت مش مصدقني تعالى فتش تعالى.. لأ والنبي لاتفتش!

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

مُلـــــح

صاح الزوج في زوجته بنبرات كلها غضب وثورة

عقب خناقة حامية:

ــ إتفضلي روحي لأهلك، ولمّا تتعلمي الأدب إبقي تعالى.

وتأكيدًا لغضب الزوج اتجه إلى غرفة النـــوم ليـــأتي بحقيبـــة ملابـــس الزوجة.

أسرعت الزوجة خلف زوجها..

وبعد مرور بعض الوقت خرجا سويًّا لتقول له الزوجة:

ــ اعمل لنا الشاي بقى يا بيبي!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

رجّالـــة

خرجت امرأة قوية البنيان تسب وتلعن عمال الصيانة في شقة الجيــران بدعوى الإزعاج.

خرج رئيس العمال.. شاب، قوي البنيان أيضًا، مفتول العضلات، قــائلاً في عنف:

ــ كل (واحدة) تلم نفسها.. الشغل ده لو ما كملش ها يكلفوكــوا غــالي قوي..

دخلت المرأة بسرعة إلى داخل الشقة..

وعادت بعد لحظات وفى يدها عصا مستديرة، غليظة..

وصاحت في (الرجل):

ــ بتقول إيه يا شاطر؟

توجّه رئيس العمال لرجاله:

ــ لِمّ ياد إنت وهو (العِدّة)، أنا قلت ما تشتغلوش الشغلانة دي م الأول!

opelkandil.com

obeikandl.com

لمعـــة

قال المدير لسكرتيرته:

ــ تتجوزيني يا عسل؟

قال بعدها وهو يصف عينيها لحظة سماعها للنبأ:

إن عينيها كانتا تلمعان (فرحًا).

بعد خمس سنوات من الزواج اكتشف أن عينيها كانتا تلمعان (طمعًا).

وبعد عشر سنوات (دمعت) عيناه ندمًا

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

ضحكة عيون حماتي

قال لصديقه وهو يرجوه حل ذلك اللغز:

ــ يا أخي.. حماتي كل ما تشوفني تضحك!

وكان صديقه من الفطنة بحيث رد عليه فورًا:

ــ طبعًا.. مش جوّزتِك بنتها؟!!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

صراحة أم وقاحة؟

في بداية التعارف بين الحبيبين قال لها:

ــ أرجو ألا تغضبي من صراحتي الزائدة..

ردت عليه:

ــ بل أنا أكثر منك صراحة.

بعد نصف ساعة قال لها:

إن نظراتك لي نظرات وقحة!

ردت هي بعنف:

ــ وأنت سافل..

و.. افترقا!

obeikandl.com

obeikandl.com

عـــــــزاء

ذهب ليقدم واجب العزاء في والد أحد أصدقائه.

ومن باب المجاملة الزائدة، وقف يتلقى العزاء مع صـديقه علـى بـاب السرادق. تقدم وفد يبدو أنه يربطه ببعضهم رابط ما، تقدم الأول قائلاً:

ــ شد حيلك، (٤٠٤) [ولم يفهم صاحبنا].

تقدم الثاني قائلاً للصديق المكلوم:

ــ البقية في حياتك (٧٠٨) [ولم يفهم أيضًا].

الثالث: ربنا يجعله آخر الأحزان (٩٠٥)!

قبل أن ينفجر صاحبنا في الضحك على ما يحدث رأى أن يسأل صـديقه عن سر هذه الأرقام التي يسمعها.

قال له الصديق المكلوم هامسًا: أبدًا.. دول جيراننا في البرج، كل واحـد يقول رقم شقته!

بعدها استطاع أن يتلقى واجب العزاء في هدوء: البقيـة فـي حياتـك: ٢٠٤!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

المِعَلّم

انتابت (المِعلم) صاحب المقهى فرحة غير عادية

بزبائن غير عاديين من المشاهير، الذين لا يــراهم إلا علــى شاشــات التليفزيون، وعلى صفحات الصحف التي يتباهى بأنه من قرائها.

أراد المعلم أن يكون احتفاؤه بزبائنه الجدد اللامعين، لائقًا بهــم، فبــدأ يهرول بجثته الضخمة، وطوله الفارع، وشاربه الكَثّ؛ لتوضيب (القاعــدة) بنفسه.

بدأ يشخط وينطر في صبيانه وعماله من أجــل ســرعة تلبيــة أوامــر البكوات.

وردًّا للتحية المبالغ فيها، طلب منه المشاهير أن يشاركهم (القعدة).

من فرحته جلس على أقرب مقعد، ولكنه لم ينتبه إلى أن أحــد صــبيانه كان قد حرّكه قليلاً..

سقط المعلّم.. وضاع (البريستيج)!

وسط ضحكات صبيانه..

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

إلا واحدة!

دَخَلت العيادة النفسية متوجسة..

صاح الجميع في وجهها:

ــ أخرجي برّه!

إلا واحدة..

ألحّت في أن تُفسح لها مكانًا..

بل أن تمنحها مكانها..

اطمأنت لها وجلست..

فوجئت بالفتاة تجلس على ركبتيها

وتحتضنها في لطف

وتغمرها بوابل من القبل!

obeikandl.com

obeikandl.com

عادل إمام

دخل التمورجي على الطبيب النفسي قائلاً:

ــ في واحد بيقول إنه (عادل إمام) عايز يدخل لحضرتك؟

قال الطبيب وقد ضاق صدره من تصرفات التمورجي:

ــ طيب وأنت مش عارف عادل إمام؟

رد التمورجي بنفس هدوئه:

ــ يا دكتوور.. أنا ما بعرفهمش من بعضهم.

ــ الدكتور: طيب.. خليه يدخل..

ــ التمورجي: مين فيهم.. أصلهم تلاته بيقولوا إنهم عادل إمام؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

مجرد أفكار

دخل الرجل على الطبيب النفسي ليحكي مشكلته..

شيئًا (ما) كان يجعل الطبيب يميل برأسه بعيدًا عن الشاب وهو يـــتكلم.. وحركة لا شعورية جعلته يضع أصابع يده بالقرب من أنفه.

سأله الطبيب: بتشتكي من إيه؟

قال الشاب بكل ثقة:

ــ مجرد أفكار (خاطئة) يا دكتور..

أحيانًا يتهيأ لي إن شكلي وحش..

وأحيانًا يتهيأ لي إن (ريحتي) وحشة..

قاطعه الطبيب منفعلاً:

– لا يا ابني.. أنا أؤكد لك، إنك مش مريض..!

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

اعرف عدوك

عندما اشتد به الضيق والحنق من تصرفات أحد الأشخاص تجاهه، استشار صديق يثق كثيرًا في خبرته وفي حكمته.

قال له الصديق: أنصحك – بعكس كل ما يقال من حكم وأمثال شعبية – أن تخبر هذا الشخص بنقطة ضعفك واختارها بعناية حتى لا تؤلمك، فإذا فعلها معك، فلا تحزن على الإطلاق، لأنه ساعتها سوف يتأكد لك أن هذا "الشخص" يريد أن يؤذيك..

فلماذا تقدم له صحتك المهدرة على طبق من فضة؟!

و..

إذا عرفت ماذا يريد لك شخص ما، فإنك تكون على بداية الطريق الصحيح لاتقاء شره.

وبعد ذلك، لا تظهر له ضعفك أبدًا، لأنه سيستعذبه، اظهر له بمظهر القوي، فإن ذلك كفيل بأن يرعبه!

أما أن يصحو ضميره، فليس قبل أن يبلغ الثمانين من عمره المديد!

رد الشاب المقهور على محدثه: إذا سأقول له أنني أتغاظ إذا ما ناداني أحد بكنية "أبو البنات"!

فقال من استشاره: ومالها خلفة البنات..انت بترمي علي كلام؟

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

من ٧ إلى ٧٠

الحاج "ح".. عُرف عنه أنه رجل يشتري الأصدقاء..

وأصدقاؤه تبدأ أعمارهم من السابعة – سن استيعاب الحكايات والحواديت – وتصل إلى السبعين – سن النعاس أمام الحكايات والحواديت والنوم على إيقاعها – أما المقابل، فهو في كل الحالات مقابل مادي، يتدرج من منح المال بسخاء، إلى ارتياد المطاعم الفاخرة، وتصل حتى الأسفار، سواء للقرى السياحية أو للعمرة..

هداياه لأصدقاؤه من النوع الفاخر والتي تتمتع بالتنوع، فهي لسن السابعة تشمل كافة أنواع اللعب الثمينة، والساعات القيمة، ومصروف الجيب المغري، وللشباب سداد مصروفات الجامعات الأجنبية، ولسن السعبين. أجهزة الموبايل، واشتراكات الأوربت، والتليفزيونات الملونة، والشقق الاقتصادية، والمجاملات في المناسبات السيئة، كنشر إعلانات التعازي باهظة الثمن.. ولكن عيبه الوحيد، باعتباره طفل كبير، أنه ملول، والملل ضد الوفاء، لذلك كم من أصدقاء – أطفال وشباب وشيوخ – تركهم بلا سبب، باعهم بلا خطيئة، عاقبهم بلا محاكمة.. يتركهم فجأة – كما اختارهم صدفة – يطلق عليهم رصاصة الإهمال، ولا يعبأ بدوي صرخاتهم، ولا يتألم لأنينهم.. غالبًا النهايات تكون مأساوية، ولكنه يؤكد لنفسه – ونفسه هي أقصى حدوده – أنه برئ من دمائهم، برئ من بكائهم.. أو حتى عويلهم.

شاءت إرادة الله أن يتزوج، وبمشيئته، أن ينجب، فاستعاض بولي العهد، عن كل الأصحاب، أطلق عليهم جميعًا رصاصات النسيان والتجاهل..هو على كل هذا قدير.

سألت طبيب نفسي مرموق، فقال: إنه اعتاد أن "يملك"، وأدمن أن ينفق، وقد وجد ما يملكه، ومن ينفق بدلاً عنه.. ومن العبث أن تبحث لديه عن "عواطف".

قلت: آه يعني حاجة شبه إسماعيل ياسين في الفانوس السحري: لو خلصت العشرتلاف دول النهاردة هاديلك تاني يا موووصطفى!

open.kandl.com

بخ ٢٠١٠

كاسك يا وطن

دلف الرجل إلى الحارة، بسيارته الفارهة، وإن كانت من موديل قديم، ومسجلة باسم صديقه «زين».. كحلية اللون..

مجيئه يعني الكثير، البهجة والفرح، كمية أكبر من البيض المقلي وأقراص الطعمية الساخنة، مع عشرات من أرغفة الفينو الطازجة.

كنت أحب أن آكل اللبابة المتبقية.

في هذه الليلة أحضر الفيديو كاسيت.

كانت مصر في حداد على شخصية مرموقة. وكان تعليقه اللماح على أول تصريح للمسئول الجديد، ردًا على سؤال: هل أنت ناصري أم ساداتي؟

قال إن المسؤل الجديد يتقن الإنجليزية عندما قال: «ماي نيم إذ موووورسى.»..

وسهرنا حتى الصباح مع مسرحية "كاسك يا وطن"..

في البداية واجهتنا مشكلة، أن جهاز الفيديو كاسيت لا يعمل، لأننا ليس لدينا تليفزيون! فحملنا الجهاز وصينية الشاي إلى الغرفة المجاورة من المنزل المجاور، الذي كان يمتلك تليفزيونًا ملونًا ١٤ بوصة، ماركة شارب مستورد، واحتفى بنا الجار المشهور الذي كان يظهر في بعض مباريات كرة القدم المنقولة تليفزيونيًا، حيث كان يعمل في مرفق الإسعاف، وكثيرًا ما يظهر وهو يحمل اللاعبين المصابين.. على الهوا...

openkandil.com

obeikandl.com

قطار الشرق

كان الذهاب إلى قريته «مشتول السوق»، القابعة فوق مكان خصب من دلتا مصر، والتابعة لمحافظة الشرقية، يمثل أحد أكبر المباهج في طفولته، وكان السفر إليها يتطلب عبور مساحات شاسعة من الحقول الخضراء، بواسطة قطارين، الأول يسمى «قطار المرج»، ويمتطيه حتى نهايته في شبين القناطر، وكان قطارًا خفيفًا على قلبه، وكانت فترة تقاطره معقولة – بمعدل كل ساعة قطارًا – وكان الصبي يطلق يديه طليقيتين من النافذة، رغم تحذيرات الأم – ومن شبين يستقل قطار الشرق «المخيف».. كان يشعر بالرهبة تجاهه، والخطر المحدق به، مقدمته تشبه وجه البومة – رمز النحس في مجتمعات الشرق – صوته كنفير الحرب.

سمع حكايات كثيرة عن حوادث لأطفال وكبار لقوا مصرعهم تحت عجلات هذا الديناصور المخيف، وبعضهم فقد أطراف أصابعهم المشرعة عبر النافذة.

صادف أحد المعاقين يتجول، ليتسول داخل القطار.. تذكر وجهه، فهو أحد أبناء قريته وهو معاق، كان يتندر في حكاياته أنه كل يوم في "مصر يأكل كفتة ع السيخ"، فيما أهل قريته يوسطونه للعمل في مصر اللي الناس فيها بتآكل كفتة ع السيخ!

أفاق على صوت نفير الحرب.. عفوًا.. نفير القطار المخيف، ولكنه كان يحب فيه أن والدته – رغم قصر المسافة – تدعوه إلى تناول مشروب مثلج من الباعة الجائلين المنتشرين داخل القطار، وهو لم يكن – المشروب –

مثلجًا بالمعنى الصحيح، بل إنه يادوب مبلل بالماء في جردل يــشبه جــردل «هنومة» في رائعة يوسف شاهين «باب الحديد»..

واحذروا «قناوي» في.. قطار الشرق!

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

أحلام الصبا

يااااه.. هل مضت كل هذه السنوات على أيام الطفولة والبراءة والضحك الصافي والذكريات المحفورة في القلب؟

هل مضت كل هذه السنوات على أول فانوس اقتنيته؟

هل مضت كل هذه السنوات على أول يوم تمكنت من صيامه بنجاح!

هل مضت كل هذه السنوات على أول فرحة حقيقية أشعر خلالها بالعيد؟

ولكن أنا لست عجوزًا إلى هذه الدرجة، حتى أتكلم عن طفولتي وكأنها كانت من قرون عديدة!

بداية عندي الشجاعة لأن أعترف بأنني من مواليد القرن الماضي!

وهو قرن عشنا بعضًا منه في ظلام دامس.. يا سيدي ما تستجعلش، عارفين أن اختراع الكهربا هو أمر سابق، ولكننا نحن أبناء الطبقة الوسطى، النور أتأخر علينا شوية، فكان الفانوس بالنسبة لنا ليس مجرد حاجة بتنور أحمر وأخضر وبس، بل كان ضرورة وعالم آخر نطل من خلاله على عالم النور والظل..

الاعتراف الثاني أن العبد لله لم تكن طفولته طفولة شقية معفرتة، بل طفولة هادئة، كان الكتاب والورق والقلم هم أقرب المقربين إليّ.

كان القلم دائمًا في يدي، وان شُغلت يداي بشيء آخر، كنت أضع القلم خلف أذني، حتى أن بعض أقربائي – ربما عن سوء قصد – كانوا يقولون إنني سوف أصبح في شبابي أسطى نجار قد الدنيا.

openkanal.com

ولا أدرى لماذا لم يكونوا يقولون إنني سوف أنافس الباشـــمهندس طـــه حسين، أو الدكتور توفيق الحكيم..؟!

الغريب أنني بعد أن كبرت، وعملت في المهنة التي أحبها، وفي شـــهر رمضان من أحد الأعوام القريبة، كنت أحاور الكاتب والمؤرخ الكبير جمـــال بدوي – رحمه الله – وفوجئت به يصفني بـــ "الأسطى" بعد نشر الحـــوار!! أي صدفة هذه؟!

هل كان يقصد أن يذكرني بتنبؤات أقاربي؟!

أم كان يلفت نظري بأدبه الجم، إلى أن أشوف لي صنعة تانيـــة أحـــسن آكل منها عيش؟!

نعود إلى الساحر الملون: الفانوس.. وكان أول فانوس أمتلكه، أحـــضره لي شقيقي قبيل أذان الفجر، وراح يوقظني بأيد، وبالأيـــد التانيـــة يتنـــاول سحوره قبل لحظات من مدفع الإمساك.

وعندما تمكن من إشعال الشمعة في الفانوس، كان البيت كله يشارك في إيقاظي.. صحوت على شيء غريب – شيء ساحر – ألـــوان فـــي ســـقف الغرفة أخضر، أزرق، أحمر، عدة دوائر يتوسطها بقعة من الضوء الأصفر.. يا إلهي.. هل دخلت الجنة؟!

هل هي بركة شهر رمضان التي أسمع عنها منذ وعيت على الدنيا.. هل هي أنوار ليلة القدر جاءت مبكرة؟

كان الفانوس، بالنسبة لنا، خيال وسحر، وبوابة للدخول إلى عالم ألـــف ليلة وليلة الساحر، كان بمثابة بهجة تلون أحلامنا البريئـــة، ونـــور يبـــدد الظلام..

بخ ٢٠١٠

ولكن شيئًا ما أتذكره مع أصدقائي وجيراني الذين كبروا، وانتشروا في المهن والمتاجر والمناصب، شيئًا ما نضحك خجلاً ونحن نتذكره الآن..

.....

لماذا كنا دائمي البحث عن حارس الفانوس "العفريت" في كل فانوس صدأ..

هل كنا نتعجل تحقيق الأحلام؟!

ربما.....

وربما كان عندنا كل الحق.. فقد مضى الزمن سريعًا، مباغتًا، قبل أن نحقق بعض أحلام الصبا.....

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

الناجح يرفع إيده

اليوم نتيجة الثانوية العامة، وهو يوم كانت الأسر تعمل له ألف حساب فهي إما لها ابن أو ابنة تنتظر النتيجة في أحر من الجمر، لتخطي عنق الزجاجة، في حين تبقى بقية أسر الطالب، في حالة ترقب للنتائج، تعاطفًا ومشاركة مع الطلاب وأسرهم.

مشهد رائع من مشاهد المشاركة والتلاحم بين أبناء الأحياء الشعبية، أبناء الطبقة الوسطى، سكان الأدوار الأرضية، أخرجوا أجهزة الراديو إلى حافة النوافذ، بأعلى صوت، حيث تذاع أرقام الناجحين، في حين أن أبناء الشارع من السن الأقل يمسكون ورقة مكتوبًا عليها أرقام جيرانهم وأصدقائهم – الأكبر سنًا – من أبناء الثانوية العامة، وأسماءهم، يضعون علامة أمام المحظوظين الذين تذاع أرقام جلوسهم عبر الأثير، وسط صيحات الفرحة، التي تشبه فرحة النصر.

الكل متعاطف. الكل مشارك، يسارع بإبلاغ أسر الناجحين، مانحًا إياهم البشرى، ويحصل على البشارة الفورية: كوب من الشربات – شربات الورد – المثلج بفعل قطع الثلج، الذي استعدت به الأسر. بشراء "ربع لوح" من ثلج القطاع العام – الذي لا يزال يستخدم في المقاهي حتى اليوم..

ما أجمل مصر البسطاء.

حالة واحدة خرجت عن هذه القاعدة، شاب معروف عنه التفوق، نجح بتفوق يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة التي يريدها، وشاب – ليس من أبناء الشارع الأصليين – يستأجر محلاً يستخدمه في أغراض التصنيع، ولكنه للأسف رسب للمرة الثانية على التوالي، الأول استأجر له أبوه دراجة

ليطوف بها الشارع ذهابًا وإيابًا احتفالاً بالنجاح. الثاني.. منحه أبوه دراجته ليحتفل بالرسوب، اعتقادًا منه أن الابن الأول وأبوه يغيظانهما، خاصة مع تعالي أصوات المذياع بأغنية العندليب "الناجح يرفع إيده"، وكان مشهدًا يدعو للتأمل والدهشة، الشاب الناجح يقود سيارته متمايلاً بفعل نشوة النجاح، أما الشاب الآخر "الراسب"، فيطارده بدراجة خشنة، ساعيًا لإيذائه.

وفي مشهد "الفينالة".. الشاب الراسب يصطدم بقوة بدراجة الناجح، ويطرحه أرضًا، ثم – بلا سبب واضح – ينهال عليه ضربًا، فيما اشتبك الأبوين بالأيدي.

opeikandl.com

بخ ٢٠١٠

قبلني في الظلام

ضبط نفسه وهو يكتب العنوان الذي يعلو هذه السطور، بخط أصغر من خطه المعتاد، وسرعان ما تذكر خجله أمام أسرار الآخرين، خاصة إذا ما كانت تتعلق بفضائح ظن أصحابها، أن غطاء الزمن قد سترها إلى الأبد، ولكن ذاكرته التي لم يصبها الصدأ، كانت كثيرًا ما يخرج منها أحداث، يندهش هو من وجودها في خزانة الذاكرة الفولاذية.

وهو لا يزال يتذكر الظلام الذي كان يعيش فيه، في ذلك الحي الصاخب، الذي ما أن يهبط عليه ستار الظلام، حتى يغط في سبات عميق، قد تكسر من حدته أصوات، أو صرخات، أو إيماءات، تنطلق من أول الحارة، أو منتصفها، أو أخرها، ولكنك لا تستطيع أن تتبين – على وجه اليقين – مصدرها. أو شخوصها، نعم.. نحن متأكدون – نحن أطفال الحي – أن شيئًا ما يحدث، ولكننا لا نستطيع أن نجزم به.. لذلك كنا نستعيض عن ذلك بكثير من الخيال.. كثير من التصورات، كنا كثيرًا ما نلعب لعبة الاستنتاج.. مثلاً كنا نتخيل أصوات مكتومة لأطفال وكأنها تشكو من إلقائها تحت السرير! ولكن لماذا تتأوه النساء؟! كان ذلك من الألغاز التي صادفتنا في سنوات البراءة الأولى!

على سبيل المثال.. كنا نستمع في ظلام الليل – في فترة سبقت دخول الكهرباء إلى– إلى تأوهات.. في البداية كنا نعتبرها صادرة عن أطفال أصغر من أعمارنا، وبدخول لعبة الاستنتاج إلى أذهاننا، توصلنا إلى أن الصوت يخص امرأة.. لم تستطع تحديد مكانها في البداية، ثم أضيف إلى صوت التأوهات الأنثوية، أو للدقة امتزج به، صوت أجش لرجل، يبدو كمن يتألم،

كمن يتأوه هو الآخر، كمن يستعين بما خفي من قوته في مواجهة عمل صعب، شاق.. وكان لفت نظره في وقت مبكر للغاية، ارتباط خروج الصوت، باستدعاء القوة (؟!)

كان يراقب عمال البناء، وهم يربطون الآلات البدائية لتقليب مواد البناء بحبل متين، ثم يعملون – على قلب رجل واحد – ثم يبدؤون في الغناء: ع النبي.. صلي.....

والآن الرجل يستغيث، ولكنه يبدو كمن يستعذب الأداء..

بتتبع الصوت، اكتشفنا مصدره: شقة دور أرضي مؤجرة حديثًا لعروسين، في عمارة يمتلكها "كناس" – عامل نظافة – في البلدية، كان العامل يأتي كل يوم في نحو الخامسة مساء، بعد أن يغادر الحارة في الخامسة فجرًا – يعود ومعه مكنسة من سباط النخل، وربطتين صغيرتين، إحداهما فجل وجرجير، والأخرى لفة نقود معدنية وورقية..

ونعود إلى صاحبي الصوت: حاولنا تبين الأمر، خيالنا كان يؤكد لنا أن في الأمر إثارة.. اقتربنا من الشباك ونظرنا.. لم نر أكثر من حرف سرير وجزء من ساق امرأة.. الساق تهتز دون أن نتبين السبب.. جذبنا إحدى ضلفتي الشباك برفق.. الشباك المتهالك يستجيب.. لم نتبين سوى جزء أكبر من السرير ومن ساق المرأة.. مزيد من محاولة فتح الشباك، وقد بدأ الأمر يحمل قدرًا من الإثارة أكبر مما تصورناه.. مزيد من تعاون الأطفال الصبية على فتح الشباك.. فجأة.. الشباك انفتح على مصراعيه.. أطفال في مواجهة مشهد فاضح.. عريس وعروس عاريان، والمشهد يكشف أكثر مما يستر، والعروسان ينظران في ذعر إلى عيون أطفال فقدوا براءتهم..

بخ ٢٠١٠

الحق.. أن العريس – الذي تخطى مرحلة الشباب – كان متسامحًا أكثـــر من اللازم، لم يسب ولم ينفعل، ولم يوبخ.. أغلق الشباك بعد أن ستر نفسه بفوطة، وأحكم إغلاقه.

وفي نفس الأسبوع لملم أثاثه القليل، ثم وضعه على عربة كارو، وجلس في المقدمة هو وعروسه، في حين زفه الأطفال بأكثر مما زفوه فـــي يـــوم عرسه..

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

خيـانـــة

أكلت (السنة) حتى رأسها!

قبيل منتصف الليلة الأخيرة من نهاية عام، أغلق عيني، لـــيس انتظـــارًا لأن (أزمر) أي

(أطرقع) بقبلة على شفاه أنثى فاتنة، ولكن بهدف إجراء مسح شـــامل على طريقة الأنتي فيرس لأحداث الماضي، يساعدني على ذلك ذاكرة وصفها البعض بالفولاذية.

ورغم كوني غير مولع بأجواء الإحتفالات الصاخبة، إلا أن هذا لا يمنـــع أن أكون مرحبا بالطرقعات متى سمحت الإضاءة بذلك! ثم أبدأ في التذكر مع تنغيمات عربة جمع القمامة التي لا تخلف موعدها في الواحدة صباحًا، حيث لسعة برد الشتاء في البلكونة، ومواء القطـــط وهوهـــوة الكـــلاب، وزنـــة الناموس (واحد يسألني: هو في ناموس في الشتا يا كابتن؟ أقوله في مدينة نصر توجد مزارع صوب للناموس)، وبعد الاطمئنان على الأهل والأصـــدقاء الذين يتلككون على مناسبة لقضاء أيام في السخنة وشـــارم ــ طـــب والله بيتعبوا ــ يومين في السخنة ويومين في شارم ويومين شغل ويوم راحـــة! هذا العام تذكرت حكاية صديق، وهي حكاية لا تصلح مـــع بدعـــة الـــسينما النظيفة!

جاءت الجارة، وهي سيدة لم تصل بعد إلى عقدها الثالث، جميلة، جمالها هادئ، كانت تشتهر – إضافة إلى سمعتها الطيبة – بضفيرة تطول أهدابها، جاءت إلى أم الصبي تستأذنها في أن يقضي عندها الليل، لسفر زوجهـــا – الأم رحبت بكرم، واستأذنتها أن ترجئ الاستضافة لدقائق، خرجت الجـــارة،

obeikandl.com

وبسرعة أعدت الأم أقصى ما تستطيع إحضاره من عشاء لابنها الطفل، الذي سيبيت الليل بعيدًا عنها – لأول مرة – حتى تكون "عينه مليانة" أمام أطايب الأكل عند الجارة.. وقامت بتنظيف جسده، وتغيير ملابسه.. كان الطفل يشعر بأنه مقدم على تجربة جديدة عليه، تجربة تقفز بعمره عشر سنوات – على الأقل – لأنه سيكون رجلاً يحمي جارته من أي رجل وحش، تسول له نفسه استضعاف هذه السيدة الجميلة، الوحيدة.. ذهب إلى "أبلته" – تانت – طارقًا الباب، فتحت له في سعادة واطمئنان.. هو لا يستطيع أن يرى تفاصيل الشقة، بسبب الظلام الدامس، رغم وجود لمبة جاز نمرة ١٠، بشريطها المتآكل، المبلل بفعل قليل من الكيروسين، النادر إبان حرب الاستنزاف، عقب هزيمة ١٩٦٧ القاسية.

الجارة أجلسته في الصالة – قبل اختراع الريسبشن – أمام طبلية، وبحاسته أدرك أن هناك طعامًا يُعد، فأقسم لتانت، أنه أكل وحلى، وبين شد وجذب، ذاق بسبوسة صنعتها بأيديها، فاستحسنها.. قالت له إلعب هنا – حتى آت إليك..

سمعت – في الظلام – طرقعة أعرفها جيدًا.. في الغالب الأعم.. هي طرقعة "قبلة".. أنا لا أستطيع أن أتبين الأمر في هذا الظلام الذي أكرهه، وأكره – فيما بعد – من طالبنا بألا نلعنه.. إنه لا يعلم ماذا يعنى الظلام في هذه الأجواء المكدسة بالبشر، حلوها ومرها.. جارتنا جاءت مسرعة، وكأنها تريد أن تشوش على التفكير.

ولكنه استنتج من تصرفاتها، أنها لا تريد له البقاء – يقظًا – في البيت، لقد تغير شيء ما، منذ أن جاءت تطلب ونسه، رغم أن الفارق الزمني لا يتعدى الساعة، وهي قليل في جو يفتقد أهمية الوقت والزمن، طلبت منه أن ينام في الصالة، وسوف تمده بالمخدة والغطاء.. ولكنه رفض، بل وزرجن، وطلب الخروج، وذهب بالفعل إلى باب الشقة، ولكنها استبقت الباب، وطلبت

منه ألا يذهب إلى منزله، بل يمكنه اللعب في الشارع – في ظلمة الليل – وسوف تمده بالمال ليشتري ما يريد من حلوى، بشرط ألا يذهب إلى بيته وألا تراه أمه..

خرج الصغير من بيت الجارة، وهو لا يعلم إلى أين يذهب، فرفاقه يغطون الآن في سبات عميق، وبيته مُحرَّم عليه إتيانه.. سوف يجلس على درجات السلم، حتى تنتبه إليه الجارة، وتأخذه إلى حيث يقضى ليلته.. وجلس نصف نائم على عتبات السلم. مضى وقت طويل، وهو من حين لآخر يضرب على بيت جارتهم بيده.. وما من مجيب. وبعد وقت أطول فُتح الباب، وهو يقرعه، ولكنه لاحظ أنه لا يرى من الذي فتح له الباب، والجارة تناديه من غرفة داخل الشقة، في حين أن البيت أصبح أكثر إظلامًا، شريط لمبة الكيروسين غطس – بفعل فاعل – إلى أدنى مستوى له (بتعبير البورصة). والضوء خافت جدًا، هي تريد أن تسحبه بعيدًا عن الباب، وتحاول بالحيلة ألا ينشغل بمن فتح الباب، ولكن خوفه ساعدها، فانطلق إليها مهرولاً، فأخذته في حضنها، مما طمئن الصغير، لأن يرمق الباب بنظرة خائفة، فإذا برجل طويل ينحني حتى مستوى ركبتيه، يخرج مسرعًا ويغلق الباب من خلفه.

المرأة ضحكت ضحكة المنتشية، السعيدة، مما مكنه لالتقاط بعض التفاصيل الصغيرة، مثل رائحة العطر المنتشرة على كامل جسدها، وروب يقترب من اللون الأحمر الوردي، شك في أنها ترتديه على جسدها المبلل بالعرق دون وسيط، خدودها حمراء، ليس بفعل مساحيق، بل بفعل تدفق الدماء إليه.. المرأة كانت سعيدة سعادة لم يصل لتفسير لها، كانت تحتضنه، ثم تبعده لتنظر إلى وجهه، الذي تتراقص من حوله علامات الاستفهام، علامات الدهشة.. وربما التعجب.

جذبته – هيلا بيلا – إلى السرير.. غاصت يده في بقعة لزجة، أشار لها إليها وهو لا يتكلم.. أغدقت عليه بوابل من القبل.. أنامته على صدرها الطري، ولم يستطع فهم اللحظات التي يعيشها إلا فيما بعد.. فيما بعد سنوات..

نام الطفل.. ونامت المرأة، وهي تنشر رائحتها.. العطر المختلط بهرمونات أنثوية تذوقها في هذا السن المبكر، واجترها بعد أكثر من عقدين من الزمان..

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

دهاليز مجمع التحرير

كلنا نعرف مجمع التحرير.. وكلنا يعرف جو البيروقراطية الذي يعشش في المكاتب الإدارية، المتعاملة مع المواطنين في بر مصر المحروسة..

ومن لا يعرف فلابد وأنه شاهد فيلم وحيد حامد وعادل إمام "الإرهاب والكباب" الذي قادت فيه البيروقراطية إلى حدود التفجير الإرهابي..

وكلنا سمع عن طلاب جامعة المنصورة، الذين هربوا بحثًا عن جنة الحلم الأمريكي..

إنها ألغاز.. حلها في هذه السطور.

وأستأذنكم في سرد هذه القصة، حيث قادتني الظروف للتعامل مع نجوم وأباطرة البيروقراطية في مصر.

اقتضت الظروف أن أحول ابنتي من مدرستها إلى أخرى داخل نفس المنطقة تقريبًا، أي أن المسافة بين المدرستين "فركة كعب" كما يقولون، ولم أكن أعلم أن رحلة شاقة جدًا، ومرهقة غاية في الإرهاق في انتظاري ففي البداية مطلوب مني أن أذهب إلى شئون الطلاب بشارع الشيخ ريحان، لتحولني الموظفة إلى مدرسة في عابدين لدفع قسيمتي مصاريف، وهناك لا أجد الصراف حيث إنه في مهمة خارج مقر المدرسة، وأعود إليه عند الظهيرة وأدفع القيمة المطلوبة، ليحولني إلى بريد مجلس الشعب لدفع حوالة وشراء طابع "دعم التعليم".. هكذا مطلوب مني أن أدعم التعليم الذي يعذبنا جميعًا، ثم أعود إلى المدرسة المراد التحويل منها لسحب استمارات التحويل، ثم الذهاب إلى مدرسة اسمها "أحمد عرابي" بشارع مصطفى كامل

obeikandl.com

بلاظوغي للفوز بختم النسر، ثم العودة إلى شئون الطلاب بعد أن اكتشفت وجود خطأ في اسم ابنتي، الحقيقة أن الخطأ كان في اسم والدي أنا ومن جانبي أعربت عن غضبي من الخطأ في اسم الوالد رحمه الله، ومن ناحية أخرى فهو سيكلفني يومًا زيادة لتصويب الخطأ، فنهرتني الموظفة قائلة: إنه ليس خطأها.. بل خطأ زميلة أخرى.. وأضافت.. وأنا مالي بقى؟! ليتم الاستعداد لعمل بيان نجاح جديد بالاسم الصحيح، والاستلام في اليوم التالي. وفى اليوم التالي علىَّ الذهاب إلى مجمع التحرير بكل ما يمثله مجمع التحرير من هيبة ورعب لدى المواطن المصري، ولم أجد السيد وكيل الإدارة لوجوده في امتحانات الدور الثاني للثانوية العامة، وهنا نصحني موظف (مسئول)، أن أترك الورقة وأمر بعد ثلاثة أيام، وطبعًا نفذت الأمر حرفيًا باعتبار أنه "مسئول" وفي اليوم الرابع عدت لأسأل عن أوراقي، فقالوا لي إن الموظف أغلق المكتب (الباب الخارجي كله) وسافر إلى المصيف، فسألت زميلته بهدوء أحسد نفسي عليه: هل هذا يرضى ربنا؟

صرخت في وجهي: إيه ما يصيفش.. اشمعنى انتوا بتصيفوا؟

ذهبت إلى السيد وكيل الإدارة بناء على نصيحتها، وهو يبعد عن مجمع التحرير حوالي ٣ كيلومترات مشيتها على الأقدام، فأمسك الرجل بالتليفون وصرخ في وجه الموظفة قائلاً: انتوا غاويين تعذبوا الناس.. لماذا أرسلته، ثم قال لي من فضلك عد إلى مجمع التحرير وفتش عن موظف آخر يستخرج لك الورقة من الغرفة المغلقة ولو اضطررنا لأن نحضر الموظف من المكان اللي هو فيه.. احترمت موقف المسئول بشدة وذهبت إلى الموظف في مجمع التحرير، فأعادني إلى شارع جواد حسني لأن ورقي أصبح هناك!

عدت إلى شارع جواد حسني وختمت الورقة، وهناك سألوني هل ختمت استمارات التحويل من عندنا، فقلت: لم يطلب مني أحد ذلك، قالوا: تعال

بكرة، وجه بكره وجبت الاستمارات فقام بالتوقيع عليها السادة الموظفون وبعدها أخبروني أن ختم النسر في مدرسة أحمد عرابي بشارع مصطفى كامل في عابدين، هتفت فرحًا: عارفها وعدت بأوراقي إلى شئون الطلبة بشارع الشيخ ريحان، وقمت بتحية كل الموظفين لإحساسي بأننا أصبحنا أكثر من أهل.. وحميمية الصداقة بيننا كانوا ينادونني باسم "الكنية": ادخل يا أبو سلمى، أهلاً أبو شروق، بل إن منهم من قال لي تعال يا طاهر! هكذا رفعوا التكليف.

واكتشفت السيدة الموظفة وهي سيدة محترمة أنني نسيت قسيمة الدفع للمبلغ الذي دفعته في مدرسة عابدين الصناعية، فقالت في سعادة ومرح: وكده يبقى لينا نصيب نشوفك بكرة!

هذا وقد رأيت أن أكتب لكن هذه التجربة قبل أن تكتمل، أملاً أن تؤمنوا بالمثل القائل: "اللي يشوف "بلوة" غيره.. تهون عليه بلوته".. ولكم التحية.

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

زوجتي أكبر مني

سوف أحكى لكم تجربة عايشتها عن قرب، فهي تخص صديقًا لي، حكاها لي، وليس لي من فضل في روايتها إلا عبء الصياغة.. فهو كان يومًا شابًا مكتمل الرجولة، أحب والدتها بعنف، وارتبط بها بشدة الارتباط، وأراد أن يتزوج نسخة كربونية من أمه، وعندما اكتشف إنها تكبره سنًا بنحو ٩ سنوات فرح، متسورًا أنها بذلك سوف تقترب من عطاء الأم.

فماذا حدث.. تعالوا نقرأ الحكاية من أولها..

في طفولتي المبكرة كنت متعلقًا بأمي، فطوال وجودي في المنزل كنت أظل جالسًا بين ساقيها، أستمع إلى غناءها الحزين، وأشم رائحة أنفاسها.

أما هي فقد كان يقلقها أن يتعلق بها صغيرها هذا التعلق المرضي، كانت ترى في "رجل البيت" خاصة أنني لست وحيدًا، بل لي أشقاء كثيرون كانت تراهم يلعبون ويمرحون، ولا يطيقون البقاء في البيت مثلي.

كانت أمي تحاول أن تدفعني دفعًا لمصادقة الأولاد والبنات في مثل سني أو أكبر قليلاً – أو كثيرًا – فالمهم هو أن أكسر حاجز العزلة الذي فرضته على نفسي، حتى أنني عندما كبرت بعض الشيء، اخترت القراءة هواية لي، والكتاب رفيقًا لوحدتي، كنت أرى فيها صديقًا صامتًا، لا يتلكم إلا بإذني، ولا يقول إلا ما يمتعني.. كدت أن أقول الشعر في حروف الطباعة، وكنت أرى في رائحة الأحبار ما يفوق عطور باريس.

كانت أمي تخرج إلى الأسواق وتعود، فأهرول إليها ممسكًا بما لا يقل عن أربع أو خمس أقلام، أنا نفسي لا أدرى، ماذا كنت أفعل بهم، ولكني

كنت أضغط على الكتاب وأقربه من صدري وعيني كبديل عن أمي في فترات غيابها..

أمي لم تكن سعيدة بهذا الارتباط المضمني من جانبي، ولكنها كانت في مقابل إخلاص لها تمنحني اهتمامًا مضاعفًا في طعامي وشرابي ونومي الذي لم يكن يتم بنجاح إلا بالقرب منها.

وعندما أصبحت شابًا حاولت في البداية التهرب من الزواج، فأنا لا أحتاج لأكثر من أن أضع رأسي بالقرب من أخمص قدميها، لأغط في نوم عميق.

كانت أمي تسألني بشكل متكرر، عما إذا كنت قد وجدت بنت الحلال، في العمل أو في النادي، أو من بنات الجيران، ولعلها كانت صدفة أن عائلتنا لم تكن بها فتيات في سن الزواج، وإلا لكنت تزوجت فورًا أي ابنة خالة لي إرضاء لأمي..

كنت أسأل أمي عن مواصفات الفتاة التي تصلح لأن تكون زوجة لي، وفي نفس الوقت تكون هي راضية عنها، كنت أسألها لا لأستفيد من عمق خبرتها في الحياة، ولكن لأني فعلاً كنت أريد أن أرضيها، وأن تكون عروسي كما تحب أمي أن تكون، لا كما أحب أنا، فأنا على ثقة أن كل النساء متشابهات في مزاياهن وعيوبهن ولكن تبقى بعض الاختلافات في الشكل التي لا تقدم ولا تؤخر.

كانت أمي تقول "لازم عروستك تبقى قمر ولا قمر ١٤"، وكنت أرى في ذلك مجرد مجاملة من أمي ودعوة لإسعادي، فكنت أتجاوز عن هذا الشرط أو إن شئت تلك الأمنية، وأتخطاها لما بعدها قائلاً في استزادة وانصات: وماذا بعد يا أحلى أم، يا قمري، ويا بدر البدور؟

كانت تقول: عليك بالحنينة، الودودة لأهلها، الكريمة السخية، عليك بالمطيعة واترك "البجحة" العنيدة، ومن جانبي كنت أريد أن أقول ليت كل النساء مثلك يا أمي، فالعنيدة والبخيلة واللئيمة، يمكن أن يخفين عنادهن وبخلهن ولؤمهن إلى الوقت المناسب.

وفجأة رحل الأب، وفعلت المستحيل في خدمة أمي، ولكن شقيقاتي البنات تسابقن لاستضافة أمي، حتى يكن في خدمتها، وبالفعل اتفقن على تقاسم استضافة أمي في بيوتهن، كل واحدة شهرًا، وتجرعت مرارة الوحدة، على الرغم من أن الوحدة في حد ذاتها لا تخيفني، ولكن أصبح رعبي وهاجسي هو كيفية الحياة بدون أمي، ومن جانبها كانت أمي تدفعني دفعًا نحو الزواج، وحدث أن لاح في الأفق طيف عروس، كانت زميلتي في العمل، واندهشت كيف لم أرها طوال سنوات زمالتنا، ولكني سرعان ما انتبهت إلى السبب، وهو أنني كنت لا أرى إلا أمي، تكلمت مع الفتاة زميلتي – والتي جذبتني بأنها تكاد تكون نسخة كربونية من أمي – هكذا تصورت – في طيبتها وحنوها وكلامها الواهن، وفجأة وبعد أن توطدت أواصر العلاقة بيننا رأيتها تبكي وهي تقول إن هناك سرًا ينبغي أن أعرفه عنها، خير يا ست فاطمة، كنت أناديها ست فاطمة كما كان ينادي أبي أمي، قالت إنها تكبرني بنحو تسع سنوات، وأن تعيينها جاء متأخرًا بسبب رفض والدها لأنه كان يرفض عملها واحتكاكها بالرجال، ولما رحل الأب لم تمانع أمها في أن تخرج ابنتها للعمل رغم أنها ورثت ما يكفي عن والدها، اشترت ببعضها سيارة، وبجزء آخر اشترت شقة في حي جديد معقول.. كانت الست فاطمة – التي لم يسبق لها الزواج – تبكي، بينما قلبي يهتف فرحًا، لا بسبب ما قالته عن أملاكها وراتبها المرتفع، ولكن لأنها أكبر مني سنًا، يعني أنني سوف أكون مثل طفلها المدلل، وهي ستكون مثل أمي، إنني كثيرًا ما تصورت نفسي زوجًا لإحدى صديقات أمي من الأرامل، فقد كان هذا شيء

يشعرني بالأمان، سوف أكون مع قائدة لشئون المنزل، بل وشئوني أنا، كان يسعدني تصور نفسي عصفور رضيع تعلمه أمه كل شيء من تناول الطعام إلى الطيران، ولكن دون أن تتركني أمي وترحل عندما أشب عن الطوق مثل أمهات الطيور بصفة عامة.

أمسكت يد خطيبتي الست فاطمة، ونظرت بضعف إلى عينيها، وطلبت منها أن تختار مكانًا نتناول فيه الطعام، وتركتها تختار أيضًا نوعية الطعام.. تمامًا مثلما كانت تفعل أمي.. وبعد الغداء قلت لها: سوف أتزوجك فورًا!

وتزوجنا بمباركة أمي، بعد أن أبدت رفضها في البداية.

وعشت معها أجمل سنوات عمري، للأدق عشت معها امتدادًا لأجمل سنوات عمري، كنت أناديها باللقب المفضل عندي "ست فاطمة"، فيما كانت هي تناديني "بحبة عيني" كما طلبت منها مرارًا.

ولكني اكتشفت بعد فترة أنها تغار "موت" عندما تقترب مني أية فتاة بدءًا من السادسة عشرة ووصولاً إلى الثلاثين.. بينما كانت الغيرة عليها منزوعة من قلبي. كنت أكبر في العمل وكنت أشعر بهذا. ولكنها كانت تراني دائمًا شابًا مراهقًا يمكن أن توقعني أية فتاة صغيرة وكأني عشت محرومًا منهن، ثم تطورت غيرتها علىّ لتشمل كل البنات والنساء أيضًا بما فيهن من هن أكبر منها سنًا "وليه لأما انت عملتها قبل كده واتجوزت أكبر منك، واعترفت بأن العمر لا يشغلك.. فلماذا لا تأتي واحدة من صاحباتي وتأخذك".. هكذا كانت تفكر!

ولكن أنا أشعر معك بنفس مشاعري مع أمي وشقيقاتي الأكبر مني، بالإضافة إلى أنك زوجتي وزميلتي.. يعنى مش ناقصني حاجة".. هكذا كنت أرد وحدث المعجزة.. أنجبت زوجتي رغم تحذيرات الأطباء في البداية، وأصبح لديها ما يشغلها، ولكن ما شغلها أيضًا أبعدها عنى، فلم تصبح أمي،

بل أصبحت أم مولودنا، ولأول مرة شعرت بالغيرة من ابني، ولكني تحملت كما كانت تتحمل أمي قسوة أبي عليها.. ومرت بضع سنوات سريعًا، وبدت علامات الكبر على زوجتي.. وكان المتفرض أن أفرح لأنها أصبحت قريبة من سن أمي طبقًا للصورة التي لا تفارقني عن أمي.. وأصبحت الست فاطمة تتسم بعصبية شديدة، وتستقبلني باستجوابات مشددة.. واتضح تمامًا أن ثقتها بنفسها قد اهتزت.. فماذا أفعل؟

opeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

انتحار تلميذة إعدادي

كانت الطفلة (....) تلميذة المرحلة الإعدادية، في إحدى مدارس اللغات دائمة المرح مع زميلاتها في المدرسة، تهتم بمظهرها ونظافتها الشخصية، فضلاً عن كونها تلميذة مجتهدة، لم تذق – لا قدر الله – طعم الفشل ولا الرسوب، ولا حتى "ملحق".

كانت بكل المقاييس، تلميذة تعيش حياتها الطبيعية، دون تقصير ولا تفريط.. كان يدفعها مرحلها لأن تقول أو تستمع إلى نكتة مهذبة، من – أو مع – زميلاتها. كانت تتحدث عن المستقبل بتفاؤل كبير، ولا تكف عن حديث الأمنيات، والأهداف المرجوة، بعد انتهاء الدراسة، كانت تتعجل الأيام والسنوات، من أجل أن تطرق بوابة الجامعة، لتتعرف عن قرب على مستقبلها العملي – بعد اجتياز عنق الزجاجة كما يحلو للبعض أن يسميه، كانت عنق الزجاجة بالنسبة لها – وبالنسبة لتلميذات وتلاميذ سنها هي: الثانوية العامة.. التي فيها يكرم المرء أو يهان – بحسب نظام التعليم الحالي – كانت أحلامها أن تصبح مذيعة تليفزيونية مشهورة ومرموقة.

كانت تود لو أصبحت في يوم من الأيام، صاحبة برنامج ضخم على إحدى الفضائيات، لتستضيف فيه شخصيات محلية وعالمية، تساندها في ذلك لغة أجنبية – أو لغتان – تتقنهما من تعليمها المتميز (المدفوع الثمن مقدمًا).

إلى هنا، شعرت وأنا أقرأ رسالة مجموعة من زميلاتها في نفس المدرسة، أنني أقرأ رسالة (أحلام) عشرات الآلاف من الفتيات الطموحات، التي تمتلأ بها مدارسنا، وشوارعنا، وحوارينا، وأزقتنا، فالحلم لا يفرق بين

صغير وكبير، قد نختلف فيه بعض التفاصيل بحسب السن والنوع، ودرجة العمق والوعي، ولكنها أحلام اشتركنا فيها جميعًا، ثم جاء أبناؤنا وبناتنا ليتوارثوها عنا، طالما شربوا من نفس النهر، وأكلوا من نفس الوعاء.. رحت ألتهم الرسالة التهامًا، وكنت أظنها عملاً أدبيًا من الخيال الفطري البريء لإحدى التلميذات.. ولكني فوجئت برائحة وطعم الدموع فيما تبقى من سطور:

الفتاة الصغيرة كانت دائمة استخدام الكمبيوتر المنزلي، والإنترنت – وهو أمر طبيعي تمامًا لمن في سنها، إلى أن دخل عليها أحد أفراد أسرتها في غرفتها بالمنزل، ليكتشف أنها تتبادل الحديث مع ولد صغير – فيما ترجح زميلاتها – ويبدو أن التعنيف بلغ ذروته، بدرجة لم تتحملها طفلة صغيرة، مرهفة الأحاسيس.. ويبدو أيضًا – حسب رواية زميلات التلميذة – أن العقاب تنوع واشترك فيه أكثر من فرد في العائلة.

الفتاة – الطفلة – لم تكن ترى أنها أخطأت، حتى وإن كانت أخطأت، فالخطأ لم يكن جسيمًا، فهي كانت تجري (الشات) مع ولد صغير حول موضوعات عامة، وكانت تدخل على موقع المحادثة تحت اسم مستعار، ولم يخرج حديثهما عن حدود الأدب والذوق واللياقة.

ولكن كانت الفتاة الطفلة تمتلك من رهافة المشاعر، وبراءة الطفولة، ما جعلها تشعر بأن كبريائها قد جرح، وأن براءتها قد اغتيلت.

فأقدمت على قرار، انتفضت له شخصيًا.. حتى اختلطت دموعي بدموع زملائها على الورق..

انتحرت الطفلة، ابنة الثالثة عشر عامًا، انتحرت الوردة المتفتحة.. ألقت بنفسها من الطابق الرابع.. انتحرت ضحية الجهل والتخلف، وانعدام الثقافة في أصول التربية، وفنون التعامل مع الأبناء.

بخ ٢٠١٠

اهتز بدني، وارتعدت نفسي من صورة المأساة..

وتستشيرني زميلاتها: نحن لا نقوى على دخول الـ Class، مـن دون أن تتشابك أيدينا في يديها الناعمتين.. ماذا نفعل؟

إلى هنا تركت الرسالة، دون أن أقوى على الرد، والآن أتجرأ وأقـول: ادعوا لها.. فسوف تستمر الحياة بكل ما فيها من تجارب مؤلمة.

obeikandl.com

obeikandl.com

بخ ٢٠١٠

العيد فرحة

لست قرويًا.. ولكن انبهاري بالقرية ليس له حدود!

ولدت في المدينة.. وظل الحنين إلى القرية – جذور كل المصريين – يراودني طيلة حياتي..

وعرف طعم الأعياد في أحياء القاهرة الشعبية، التي تتشابه إلى حد بعيد، مع طقوس وعادات القرية المصرية.

مرة واحدة قضيت فيها أيام العيد في قريتي – التي أصابتها ترقية حكومية فأصبحت مدينة وجاء من أهل بلدتي من يهنئني فوجدني ساهمًا حزينًا على فقدان بلدتي صفتها القروية.. وما علينا..

ربما تداخلت عوامل نفسية في عدم مغادرة تلك الذكرى لعقلي ووجداني، حيث كانت الزيارة توافق سنًا مبكرة للغاية من الطفولة، كما كان العيد – هكذا أتصور الآن – هو أو عيد تعيه الذاكرة، ويعيه عقل طفل يتلمس الطريق نحو إدراك ما يحدث في عالمنا السعيد..

وتحمل الغرفة المضيئة من ذاكرتي – التي أباهي بها الأمم بلا غرور – كثير من التفاصيل والمنمنمات الدقيقة للغاية، التي تبهجني وتؤرقني في آن واحد!

تبهج بما صنعته في الوجدان في فرحة تشرح القلب، وتثلج الصدر، وبمتعة الذكرى.. وتؤلم لأنني وأبناء جيلي – الذي أتصور أننا آخر جيل عاش كثيرًا من العادات المصرية الأصيلة المتوارثة قبل أن تنقلب معظمها

obeikandl.com

بداية من النصف الثاني من السبعينيات – بسبعينيات الانفتاح والتليفزيون الملون والفيديو كاسيت، واللبان الأمريكاني!

نحن أبناء هذا الجيل نرى كثيرًا من التحولات – قد تكون للأفضل والأجمل، ولكننا مازلنا نبحث عن طعم اللبان "الكورة" الملون، والمكرونة بالصلصة التي تتحدى "البولونيز" و"النابلوليتان" و"اللازانيا".. هل لهذا دخل بالعيد؟

طبعًا..

المكرونة بالصلصة كنا نلتهمها التهامًا، على نواصي شوارعنا، وأمام الحدائق العامة، وعلى الرغم من انتشار أرقى المطاعم وأشهرها – التي هي فروع وتوكيلات من مطاعم أوروبا وأمريكا، إلا أن معظمنا يبحث عن الطعم الأصلي.. طعم زمان..

ليس هذا حنينًا إلى الماضي، ولا رغبة مستترة للعودة إلى الوراء، ولكنها ذكرى – أو أن شئت – حدوتة لجيل يصغرنا، ليتعرف على صفحة من عادات وتقاليد مصرية في نهاية الستينات وبدايات السبعينات..

في القرية وقبل العيد بيومين تقريبًا كان الزحام على أشدة في دكان خياط القرية – الترزي – وعلى الرغم من أن والدتي كانت اشترت من أجلنا ملابس العيد من (مصر) – أم الدنيا كما يسميها أبناء عمومتي – إلا أن أبي كان من أنصار أن "تفصل" ملابس أخرى في "البلد" حتى أبدو متساويًا مع الأهل والعشيرة – حساسية مفرطة – الدكان عريض جدًا وله باب أضخم من باب أكبر مول في مصر الآن، مصنوع من خشب النخيل، وفي جانبيه مصطبة لانتظار الزبائن.. ترزي قريتنا كان في ورطة كبيرة، لأنه ترزي عربي، متخصص في تفصيل الجلباب العربي – فهو زي كل أبناء القرى وقتها، حتى المدرسة التي زرتها حتى لا أتغيب كثيرًا عن دروسي كانت

المعلمة – المدرسة يعني – ترتدي الجلباب الأسود ولكنها فجأة رفعت عنها جلبابها لتبدو في صورة أكثر مدنية أمام تلميذ قادم من مصر، وكانت المفاجأة أنه من أسفل الجلباب الأسود، كان هناك جلباب آخر ولكنه ملون "مشجر كما يقولون"!

هل لهذه علاقة بالعيد...؟

طبعًا..

ورطة عمنا الترزي كان سببها أن ابن مصر الغلباوي يريد تفصيل بنطلون وقميص لزوم العيد، والترزي الشرقاوي الطيب يسأله: يعني عايز بدلة؟

أقول بغضب: لأ.. بنطلون وقميص، وأظل أشرح وأشرح، لأكتشف في النهاية أن هذا الزى "الأفرنجي" يقال له "بدلة" في القرية..

في أقل من ساعة كان قد تم تفصيل "البدلة" ومعاها بيجاما، فقد كنت – وما أزال – لا أميل إلى لبس الجلباب.. مصراوي بقى!

البيجاما – كما عرفت بعد ذلك – لزوم ليلة العيد.. أي يوم الوقفة، والبدلة المكونة من بنطلون وقميص لأيام العيد.

بعد ذلك انطلقنا في ليل معتم، لا ينبره إلا شموع صغيرة، رفيعة، قصيرة، بداخل علب من الصفيح، ذهبنا نقطع القرية ذهابًا وعودة نغني مهللين:

يا برتقان "برتقال" أحمر وكبير بكرة الوقفة وبعده العيد ثم نحور في الأغنية التراثية قائلين:

يا برتقان أحمر وصغير بكرة القفة وبعده نغير (أي نرتدي الملابس الجديدة).

ونظل هكذا حتى يخرج شيخ وقور من "داره ليبدأ في التسبيح وهو يسير في أزقة القرية، منبهًا الأهالي لقرب حلول صلاة الفجر، ويدعونا للصلاة، فنسير من خلفه بما تبقى من شموع لننير له الطرقات، وكلنا أمل في أن نحصل على "ثواب" من الخالق سبحانه لأننا نشارك في فعل الخير، وربما حصلنا على بركة من هذا الشيخ الوقور، ونحن نعتقد في أن كل من يرتدي زي الشيوخ يكون من الأولياء الصالحين.

بعد صلاة الفجر حاضرًا، نذهب إلى بيوتنا، لننام على "الفرن" – وهو مطلقًا طبعًا – في أحضا الملابس الجديدة، ومع استنشاق رحيق الحذاء الجديد!، وفي الصباح يأخذني أولاد خالتي للمشاركة في عمل جديد ومهم، وممتع، ومفيد – هكذا يصورون لي – حيث نذهب وراء جزار.

القرية وهو يسحب جاموستين – من بتوع جاموستي يا عمدة – ونطوف وراءهما في حالة مشابهة للتجريس أيام المماليك.. ونهتف بأعلى صوتنا:

من ده يا بكره.. بقرشين عند المعلم.. بقرشين وفي المساء نستمع إلى "هليلة" لنكتشف – وبالتحديد أنا الذي اكتشف فالجميع كان يعلم ما ينتظر – أن البضاعة وصلت... بضاعة أية يا جماعة.

بضاعة العيد.. وصلت من مصر "ألم أقل لكم أنها أم الدنيا؟" ساعات ورقية، بمب، صواريخ، حرب أطاليا "نوع من المفرقعات" ويبدأ الزن على الأهل طلبًا للنقود.. وتضاء سماء القرية بفعل الصواريخ القرطاسية، ويزقزق سكون الليل بحرب أطاليا، أما البمب فكنا ننتظر به حتى صباح أول أياما العيد احترامًا للكبار والعجائز – وما أكثر عجائز القرية الذين امتد بهم العمر إلى ما بعد المائة، بل إن الحاجة "يمن" كان الكل يؤكد أن عمرها تعدى المائة وعشرين عامًا على الرغم أننا كنا نراها تمص القصب بأسنانها الخضراء كما يسمونها بعد أن ظهرت لها أسنان جديدة.

في صباح أول أيام العيد تذهب أمهاتنا لقراءة الفاتحة ترحمًا على موتى الأسرة في المقابر، فيما نأكل نحن المكرونة بالصلصة من بائعة تفترش الأرض، ولم نسمع أبدًا عن أحد الآكلين أنه أصيب بسوء من جراء تناول المكرونة من "الست الشامية" هكذا كان اسمها، ولم يتح لي أن أسأل وقتها عما إذا كانت من أصل شامي كما يقول لقبها أم لا؟

ثم نذهب إلى الحقول، نركب "النورج" الذي يديره صاحبه خدمة مجانية ومحبة لأهل قريته، أما "الحمير" ولا مؤاخذة، فعلى قفا من يركب، وتستطيع أن تمتطي ظهر أي حمار – ولا مؤاخذة برضه – دون أن يشخط فيك صاحبه.

ونلعب الكرة، والكرة هناك كانت مصنوعة من بالونتين واحدة داخل الأخرى، ثم يضعون فوقها بقايا قماش ومن فوق القماش خيوط كثيفة، ثم من فوق هذا كله "فردة شراب" ويصبح عندك كورة أحلى من كور كأس العالم!

والعيد في الأحياء الشعبية في تلك الفترة، فقد كانت تحمل طقوس وعادات الأجداد، ومن أهم سمات ذلك، أن الأطفال كانوا يشاركون مؤذني المساجد في تكبيرات العيد طوال ليلة العيد، في حين يسهر كثير منهم أمام منزل أحدهم وهم يفترشون السجاد في الشارع، ويتطوع كثير من الأمهات بإمدادهم بأطباق الكعك والترمس وأكواب الشاي – قبل تغلغل المياه الغازية حاليًا كمشروب رسمي للمصريين! – ويقضون ليلة العيد في قص الحكايات والطرائف المضحكة، المهذبة، حتى أن الأمهات والفتيات دون سن الزواج كن يتسلين بحكايات الأبناء أسفل البلكونات وهن يقمن بما يسمى "تنظيفة العيد" وكانت تستمر طوال الليل، حينما يحلو للأمهات تغيير أماكن الأثاث كنوع من التفاعل ولإضفاء جو البهجة على الأسرة، وخاصة الأب الذي دفع "دم قلبه" في ملابس وكعك العيد.

بخ ٢٠١٠

في صباح يوم العيد يحرص الأبناء على أداء صلاة العيد إلى جوار الآباء وهم يرتدون ملابس العيد الجديدة.

بعدها يبدأ التزاحم على شراء ألعاب العيد من مسدسات بلاستيكية، وفئران "بتمشي"، هذا قبل وصول ألعاب الكمبيوتر و"البلاي ستيشن" ثم ركوب عربات الكارو إلى الحدائق العامة، أو إلى شاطئ النيل للفوز برحلة نيلية، أو الذهاب إلى منطقة الأهرامات بفضل عيدية الأهل والجيران.

كان هذا هو عيدنا.. أما الآن فهو عيد التجمع أمام المول، والعيدية بالرنات و"الماسدجز" والسهر أمام الدش حتى الصباح والتجمع عبر "الشات" و"النت كافيه".

مرة أخرى.. قد يكون عيدكم أيها الشباب الجديد أجمل، وقد تكون متعكم أعمق، ولكن من حقكم علينا أن تعرفوا كيف كان عيد من سبقكم.. وعليكم أن تختاروا.. الاختيار ليس صعبًا فقط، بل هو مستحيل، لأن الزمن لا يعود أبدًا إلى الوراء.. قد تعود البيجاما لتصبح هي موضة ليلة العيد، ربما إذا ارتداها أحمد عز أو منة شلبي في فيلم سينمائي، وقد يعود "حرب أطاليا" وتسمح به الحكومة بعد أن خلده أحمد السقا في فيلمه الأخير، ومن حُسن حظنا أن الكعك لا يزال على قيد الحياة، حتى عربات الكارو" أحياناً نلمح واحدة شاردة منها.. ولكن الذي لن يعود هو..

طفولتنا نحن، مثلما لن يعود ظلام القرية وبراءة أهلها الطيبين!

صدر للمؤلف

محمد عبد الوهاب.. نساء وألحان

المغنى.. قصة صعود عمرو دياب

اضحك يا عمو.. من الأدب الساخر

الفنانون والمخابرات.. علاقات مثيرة ونهايات غامضة

موسوعة ألعاب الطفل العربي

موسوعة تاريخ المشروبات العربية

موسوعة المشاهد الضاحكة

الثلاثي أضواء المسرح ٤٠عاما من الضحك

جورج سيدهم.. ملاك البسمة

ليلى فوزي..جميلة الجميلات

حظوظ الدنيا

هموم مصرية

حلاق الرؤساء

نساء من مصر.. (حوارات)

أطفال ولكن مشاهير

بخ ٢٠١٠

تحت الطبع:

موسوعة الغناء للوطن

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المحتويات

obeikandl.com

obeikandl.com

قبل أن تقرأ ٧
قطة في الريح ٩
بـــخ ٢٠١٠ ..... ١٣
يوميات أب في الغربة ١٧
شقة الأحلام ٢٣
الطير المهاجر ٢٩
يوميات عريس فرحه الليلة .. وهاتجوز ٣٥
فات الميعاد ٤١
ابتسامات.. ودموع ٤٩
الراجل كيس فلوس! ٥٥
سيد.. لامؤاخذة.. الطويل! ٦١
SMS ٧٥
ضمـــير ٧٧
زهرة السوسن ٧٩
قبـــــلات ٨١
٧ صنايع ٨٣
النظرة الأخيرة ٨٧
النورجه ٨٩
إشطة! ٩١
صُلـــــح ٩٣
رجَـالـــة ٩٥
لمعـــة ٩٧
ضحكة عيون حماتي ٩٩
صراحة أم وقاحة؟ ١٠١
عـــــــزاء ١٠٣

obeikandl.com

المعلّم ١٠٥
إلا واحدة! ١٠٧
عادل إمام ١٠٩
مجرد أفكار ١١١
اعرف عدوك ١١٣
من ٧ إلى ٧٠ ..... ١١٥
كاسك يا وطن ١١٧
قطار الشرق ١١٩
أحلام الصبا ١٢١
الناجح يرفع إيده ١٢٥
قبلني في الظلام ١٢٧
خيـانـــة ١٣١
دهاليز مجمع التحرير ١٣٥
زوجتي أكبر مني ١٣٩
انتحار تلميذة إعدادي ١٤٥
العيد فرحة ١٤٩
صدر للمؤلف ١٥٥

obeikandl.com